الفصل الرابع

حقوق كل من الأبناء والآباء قِبَل بعضهم البعض

لقد ذكرنا فى الفصل السابق أسس اختيار كل من الزوجين للآخر ، ثم فصَّلْنا القولَ فى بيان الحقوق المترتبة على إنشاء علاقة الزوجية ، وقيام الأسرة على أساس من هذا الرباط المقدس ، ونرى تَتِمَّةً لهذا الموضوع أن نلمح إلى حقوق كل من الأبناء والآباء لدى بعضهم البعض ؛ ذلك لأن الأسرة المتماسكة نسيج محكم ، سُداه الوالدان ولُحمته الأبناء ، وحتى تسير تلك القافلة الصغيرة فى خِضَمِّ الحياة على بصيرة من أمرها ، غيرَ عابئة بالأنواء ، ولا متحركة بدافع من الأهواء ، فلابد أن يكون أفرادها على عِلْم بما أوجب الله لهم من الحقوق ، وبما ألزمهم به من الواجبات ، وإذا كانت هذه الحقوق وتلك الواجبات من الكثرة بمكان ، فإن حسنَ اختيار الزوجة واتباعها لقواعد الدين وأصوله ، ورياضتها على الخير ، أمور تعين على الوفاء بكل هذه الالتزامات ، وتسهل أمر الحياة الأسرية ، ويطيب لنا أن نقدم لك أخى القارئ هذه الحقوق على النحو التالى :

أولًا : حقوق الأبناء على الآباء :

لقد آثرت البَدْءَ بهذه الحقوق مُوَاكَبَةً للسَّنَن الطبيعى ، فما يزال الأبناء منذ ولادتهم فى حاجة ماسة إلى رعاية الآباء لهم ، وعطفهم الشديد ، وحَدَبهم الدائم والدائب عليهم ، فهم الذين يديرون شئون معاشهم صغارًا ، ويرشدونهم إليه وإلى أمر معادهم كبارًا ، وفلسفة الزواج فى الإسلام لا تكمن فى إشباع الرغبة الجنسية ، ولا فى إِرْوَاءِ الغريزة النفسية بقدر ما تكمن فى الحفاظ على النسل ،

وإبقاء النوع الإنسانى وإكثاره مع الحفاظ على قوته وسلامته ، ماديًّا ومعنويًّا ، وقد وردت بذلك النصوص الصريحة والصحيحة ، من القرآن الكريم والسنة النبوية الطهور ، فمن ذلك ما روى عن معقل بن يسار أن رجلًا جاء إلى رسول الله – ﷺ – فقال : يارسول الله إنى أحببت امرأة ذات حسب ومنصب ومال إلا أنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ فنهاه ، ثم أتاه الثانية ، فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الثالثة ، فقال له : « تزوجوا الولود الودود فإنى مكاثر بكم الأمم » (١) .

وروى عن عبد الله بن عمر أن رسول الله – ﷺ – قال : « انكحوا أمهات الأولاد فإنى أُباهى بكم يوم القيامة » (٢) .

كما عبر الشاعر عن عاطفة الآباء الجياشة نحو الأبناء فقال :

إنما أبناؤنـــا بيننـــا أكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عينى عن الغمض

كما أن إنجاب الأولاد ، والإحسان إليهم ، وحسن تربيتهم فيه ما فيه من تحقيق المصالح الدينية والدنيوية ، فى الأولى والآخرة ، فَبِهِمْ تقر أعين الآباء ، كما يكونون عونًا لهم – عند الكبر – على قضاء المصالح والحاجات ، هذا فضلًا على أن فى وجودهم امتدادَ حياة الآباء بعد موتهم ، من نحو ثواب الأعمال الصالحة إليهم ، وتخليد ذكرهم وميراثهم ، يقول الله تعالى – : ﴿ ذِكْرُ رحمة ربك عبده زكريا * إذْ نادَى ربه نداء خفيًّا * قال رَبِّ إنى وهَنَ العظمُ منى واشتعل الرأس شيبًا ولم أكن بدعائك ربِّ شقيًّا * وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرًا فَهَبْ لى من لَدُنْكَ وليًّا * يَرِثُنِى ويرثُ من آل يعقوب واجعله رب رضيا ﴾ (٣) . ويقول أيضا : ﴿ وورثَ سليمانُ داودَ ﴾ (٤) .

---

(١) رواه أبو داود والحاكم والنسائى .
(٢) رواه الإمام أحمد .
(٣) سورة مريم : ٢ – ٦ .
(٤) سورة النمل ، جزء من الآية : ١٦ .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو عِلْم يُنْتَفَعُ به ، أو ولد صالح يدعو له » [1] .

وعنه أيضًا : « إن العبد لترفع له الدرجة فيقول : أى ربى ، أنَّى لى هذا ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك » .

وهذه الحقوق كثيرة ومتعددة ، منها المادى ومنها المعنوى ، ولكنها مع هذا لا تخرج فى جملتها عن الكليات الخمس التى حفلت بها مقررات الشريعة الغراء ، والتى تشمل : حفظ النفس ، وحفظ العقل ، وحفظ العرض ، وحفظ الدين ، وحفظ المال ، وإن شئت فَقُل إن هذه الحقوق على الجملة - يمكن أن نطلق عليها الرعاية العامة ، ويندرج تحتها أفرع لها مثل : الرعاية الصحية ، الرعاية الخُلُقية ، الرعاية الدينية ، فكل جانب من هذه الجوانب يسهم فى بناء الفرد بدرجة معينة ، حتى يشب عن الطوق فردًا سَوِيًّا .

وستتم مناقشة هذه الحقوق على النحو التالى :

(أ) الرعاية الصحية :

١ - الإرضاع .
٢ - حلق شعره بعد الأسبوع الأول من مولده .
٣ - الختان .
٤ - الحضانة .
٥ - النفقة .
٦ - آداب الأكل والشرب .

---

(١) رواه مسلم .

٧ – تعلم الرياضات المفيدة .

٨ – تقويم السلوك الجنسى .

(ب) الرعاية الخُلُقِيَّة :

١ – التسمية .

٢ – التعليم .

٣ – العدل والمساواة بين الأبناء .

(جـ) الرعاية الدينية :

١ – التأذين والإقامة فى أُذنيه عقب الولادة .

٢ – العقيقة .

٣ – تعلم أصول الدين .

٤ – رياضته على مكارم الأخلاق .

(أ) الرعاية الصحية :

ونعنى بها رعاية أجسام الأطفال منذ الولادة وحتى يشبواعن الطَّوْق ويبلغوا مرحلة اليَفَاع ، سواء أكانت رعاية غذائية أو علاجية أو وقائية ، وكذلك تقويم أجسامهم بالرياضات المفيدة والسلوك القويم ، وتشمل مايلى :

١ – الإرضاع :

إن إرضاع الطفل واجب شرعى على والديه ، وذلك لمدة تكفى لإنبات اللحم وإنشاز العظم ، رضاعة طبيعية من الأم مع العناية بتغذية الأم فى هذه الفترة حفاظاً على جودة اللبن ، ووفاءً بمتطلبات جسم الوليد ، يقول الله – تعالى – : ﴿ والوالدات يُرْضِعْنَ أولادهن حَوْلَيْن كاملين لمن أرادَ أن يُتم الرضاعة ، وعلى

المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تُكَلَّفُ نفسٌ إلَّا وُسْعَها ، لا تُضَارَّ والدةٌ بولدها ولا مولودٌ له بولده ﴾ [1]

ومن الأمور الجوهرية والهامة التى يجب أن نُثْبِتَها هنا ، أن إرضاع الطفل إرضاعًا طبيعيًّا من ثديى أمه له فوائد صحية ونفسية لا تُقَدَّرُ بالنسبة للمُرْضِع والرَّضِيع ، وسنذكر لك جانباً من هذه الفوائد فيما يلى :

• **الفوائد التى تعود على الطفل :**

١ - لبن الأم غذاء ودواء :

إن تركيب لبن الأم يحتوى على المكونات الغذائية والدوائية للطفل ، وبخاصة فى أيام الرَّضاع الأولى ، فقد أثبت الطب أنه يحتوى على أنواع من المضادات الحيوية للميكروبات ، بحيث تُعين الطفلَ على اجْتِيَاز تلك المرحلة الدقيقة ، والتى لا حول له فيها ولا قوة ، كما أن لبن الأم يلائم حياة الطفل مُلاَءَمَةً تامة ، من حيث حجمه ونوع مكوناته التى تفى بمتطلبات جسم الطفل فى المراحل العمُرْية المختلفة ، كما أنه هو الغذاء الوحيد المتوازن الذى يستحيل أن تجد الموادَّ المكونة له فى غذاء آخر سواه ، ولك أن تعجب إذا علمت أن درجة حرارة اللبن تتعدل حسب احتياجات الجسم أيضًا ، فهو حار فى الشتاء بارد فى الصيف ، وفى ذلك ما يضمن للطفل عدم حدوث النزلات المعوية .

كما ثبت طبيًّا أن لبن الأم يحتوى على مادة « الكوليستروم » التى تعمل على تطهير القناة الهضمية لدى الرضيع ، وبخاصة فى اليومين الأوَّلَيْن ، فتخلصها من السوائل الموجودة بها نتيجة للتغذية الجنينية السابقة ، كما تعمل على تهيئتها للتغذية الجديدة ، هذا فضلاً عن فوائدها الأخرى التى تعود على الطفل .

---

(١) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٢٣٣ .

٢ - الرضاعة الطبيعية تزيد معدلات ذكاء الأطفال :

أثبتت البحوث الطبية أن الأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية من أمهاتهم يتمتعون بقدر مرتفع من الذكاء ، هذا بمقارنتهم بِنُظَرَائِهم الذين يعتمدون فى رضاعهم على الألبان الصناعية .

٣ - الرضاعة الطبيعية تزيد مناعة الطفل :

فقد ثبت أيضًا أن الأطفال الذين يرضعون طبيعيًّا من أمهاتهم تكون لديهم قدرة عالية على اجتياز النزلات الشُّعَبِيَّة والمعوية ، هذا بمقارنتهم بنظرائهم الذين يعتمدون على الرضاعة الصناعية ، وذلك أمر طبيعى وبَدَهِى ، فالمكونات الطبيعية للبن الأم تختلف بلا شك عن مكونات اللبن الصناعى .

٤ - الرضاعة الطبيعية تساعد على الاستقرار النفسى :

فضلًا عَمَّا أشرنا إليه من الفوائد الصحية التى تعود على الطفل من الرضاعة الطبيعية ، فإنها توفر للطفل السعادة والاستقرار النفسى ؛ لما يتمتع به من شعور بالأمان والاستقرار والدِّفْء فى أحضان أمه ، ولا يقتصر ذلك على الطفل وحدَه ، بل إن الأم تستفيد صِحِّيًّا ونفسيًّا من ممارستها لعملية الإرضاع الطبيعى .

• الفوائد التى تعود على الأم من الرضاعة الطبيعية :

١ - الإرضاع هو المتمم الطبيعى للحمل والوضع .

٢ - تمر الأم بعد الوضع بفترة هامة من حياتها الجنسية تعرف بفترة النِّفاس ، وترجع أهمية هذه الفترة إلى التغيرات الهامة التى تحدث للرحم من الانكماش حتى يرجع إلى حالته الطبيعية ، والعمل على إسراع انْبِثَاق اللبن من الثدى .

٣ – يُعَدُّ مص الطفل لثدى أمه إحدى الضرورات التى تَحُضُّ الرحِمَ على الدخول فى انقباضات قوية منَسَّقَة ، تحدث كلما ضمَّت الأم وليدَها إلى صدرها ، ومن هنا فإن ظاهرة الانكماش الرَّحمى تتم بصورة طبيعية صحيحة وسهلة ، وتعرف المادة المسئولة عن ذلك بمادة Oxytocin وهى عبارة عن أحد الهرمونات التى تفرزها الغدة النخامية .

٤ – تعمل انقباضات الرحم المتتالية ، والتى تُحَرِّضُها الرضاعة ، على وقف أى ميل لنزف الجيوب الوريدية التى تفتح بانفصال المشيمة والأغشية الجنينية المختلفة .

٥ – اتضح أن الأمهات اللائى لا يُرْضِعْنَ أطفالهن قد تضخمت أرحامُهن بنسبة ٧٥٪ من الحالات قَيْدِ الدراسة .

٦ – يعمل الإرضاع الطبيعى عند المرضع على انقطاع الحيض خلال مدة الرضاعة ، وهذا بدوره يساعد على إراحة الأعضاء التناسلية ، ومنع احتقان الرحم ، وسهولة انكماشه ؛ وذلك لأن إنزيم « البرولاكتين » يزيد من إدْرَار اللبن ، وفى نفس الوقت يقلل إفراز الهرمونات المنبهة للمبيض Gonadotrophins فلا يحدث التبويض ، وبالتالى لا يحدث الحيض .

٧ – كما أن الإرضاع الطبيعى يكون أَدْعَى لحماية المرأة من الإصابة بسرطان الثدى .

٨ – ومن جهة أخرى فإن الأم لا تستفيد صِحِيًّا فقط من جَرَّاء الإرضاع الطبيعى ، ولكنها تستفيد نفسيًّا وعاطفيًّا من ممارسة هذه العملية أيضًا ، فالارتباط النفسى والعاطفى بين الأم وطفلها أثناء الإرضاع من أهم عوامل الاستقرار النفسى والوجدانى لكل منهما ، فإذا أُحْسَنَتِ الأم تَدْبِيرَ الإرضاع على القواعد الصحيحة

عاد ذلك عليها بأجَلِّ الفوائد ، من حفظٍ لصحتها ، ووقايتها من كثير من الأمراض النسائية .

أليس فى كل هَاتِيكَ الفوائد ما يَدْحَضُ مزاعم بعض كَسَالى الأمهات من أن الإرضاع يذهب بِرَوْنَقِ الجسم وجماله ، ويضعف القُوَى ويُنْهِكُهَا ، لا شك فى أن ذلك مَحْضُ اخْتِلاق ، واعتقاد خاطئ ، وشبهة أوْهَى من بيت العنكبوت .

٢ - حلق شعر رأسه بعد الأسبوع :

يُستحب حلق شعر رأس المولود - ذكرًا كان أو أنثى - يوم السابع من ولادته ، والتصدُّق بوزن شعره فضةً على الفقراء والمساكين ، فقد روى الإمام مالك فى موطئه عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : « وَزَنَتْ فاطمة شعرَ حسن وحسين وزينبَ وأم كلثوم فتصدقَتْ بزنة ذلك فِضَّةً » (١) .

والمستحب هو حلق جميع شعر الرأس لا القزع (أى حلق مواضع وترك أخرى) ، فعن عبد الله بن عمر قال : « نهى رسول الله - ﷺ - عن القزع » .

وترجع أهمية حلق شعر المولود من الناحية الصحية إلى أن فى إزالة الشعر تقوية له ، وفتحاً لمسام الرأس ، وكذلك تقوية حاسة البصر والسمع والشم ، كما أن فى التصدق بوزن الشعر فضة لوناً من ألوان التكافل الاجتماعى ، فضلًا عن كون الصدقة عبادة تشفى من الأسقام ، فقد قال رسول الله - ﷺ : « حَصِّنُوا أموالكم بالزكاة ودَاوُوا مَرْضَاكم بالصدقة » .

٣ - الختان للذكر والخفاض للأنثى :

لقد أوجب الشرع الختانَ للذكر ، وعلى ذلك معظم الأئمة والفقهاء ، وجعله للأنثى سُنةً أو مَكْرُمَةً ، ومن العلماء من يرى أنه سنة للرجال والنساء .

---

(١) انظر تحفة المودود ص ٧٨ .

والختان بالنسبة للذكر يعنى قطعَ القُلْفَة (أى الجلدة) التى على رأس الذكر ، لتظهر الحشفة ، ويعتبر الحرف الدائرى أسفل الحشفة ، أى موضع من جلدة الذكر هو الذى تترتب عليه الأحكام الشرعية ، يقول رسول الله – ﷺ : « إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل » [1] . وفى رواية الطبرانى : « إذا التقى الختانان وغابت الحشفة فقد وجب الغسل ، أَنْزَلَ أَوَ لَمْ يُنْزِلْ » .

والخِفَاض بالنسبة للأنثى هو قطع الجزء الأعلى من قمة البَظْر ، والبَظْر عضو فى فرج الأنثى يشبه الذكر فى الرجل مع الفارق فى الحجم والتركيب ، وهو عضو حسى ، يفيد عند التقاء الذكر بالأنثى جنسيًّا ، وعليه فإن قطعه جميعه يلحق الضرر بالأنثى فيورث البرود الجنسى ، والمقصود منه الخفض ؛ ولهذا فقد روى أن مَيْمُونَةَ زوج النبى – ﷺ – قالت للخافضة : « إذا خفضت فأشِمِّى ولا تنهكى ، فإنه أَسْرَى للوجه ، وأَحْظَى لها عند زوجها » [2] .

وأفضل أوقات الختان فى الأيام الأولى من الولادة ، والدليل على ذلك ما روى عن جابر أنه قال : « عَقَّ رسول الله – ﷺ – عن الحسن والحسين وخَتَنَهُمَا لِسَبْعَةِ أيام » [3] .

أهمية الختان والخفاض :

مما لا شك فيه أن الختان والخفاض لهما فوائد صحية وطبية عظيمة فضلًا عن أهميتهما الدينية ، فَهُمَا من سنن الفطرة ، وشِعار الإسلام ، وإقرار بالعبودية لله ، والختان يجلب النظافة وتحسين الخلقة وتعديل الشهوة ، ويقى صاحبه كثيراً من الأمراض .

---

(١) انظر تحفة المودود ص ١٢٥ .

(٢) رواه أحمد والترمذى والنسائى .

(٣) رواه البيهقى .

عن أبى أيوب قال : قال رسول الله – ﷺ : « أربع من سنن المرسلين : الختان ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح » [١] .

عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله – ﷺ : « من الفطرة : المضمضة ، والاستنشاق ، وقص الشارب ، والسواك ، وتقليم الأظافر ، ونَتْفُ الإبط ، والاسْتِحْداد ، والاخْتِتَان » [٢] . والاستحداد : حلق شعر العانة .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ : « الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونَتْفُ الإبط » [٣] .

والمراد بالفطرة هنا الفطرة العملية ، لا فطرة القلب ، وهى معرفة الله والإيمان به .

٤ – الحضانة :

إن الولد محتاج لمن يُعْنَى به ويقوم على تربيته وحِفظه وتَدْبير كل ما يلزمه فى حياته ، حيث يكون عاجزًا عن القيام بمصالح نفسه . غيرَ مُدْرِك لما يضره وما ينفعه ، وقد جعل الشارع هذا الأمر لِوَالِدَيِ الصغير ؛ لأنهما أقرب الناس إليه فى هذه الحياة ، وَوَزَّع الأعباءَ عليهما ، كُلٌّ فيما يصلح له ، فقد جعل تربيته ورعاية شئونه فى المرحلة الأولى للأم ، وأمَّا عن ولاية التصرف فى نفس الولد وماله فقد جعلها للأب [٤] .

أما إذا اختلف الوالدن أو انفصلا فإن الحضانة تكون للأم مادام الطفل

---

(١) رواه الترمذى والإمام أحمد .

(٢) رواه الإمام أحمد .

(٣) متفق عليه .

(٤) انظر علاقه الآباء بالأبناء ص ٩٣ .

صغيرًا ، ثم تئول للأب عند الكِبَر ، وقيل : تئول لأَصْلَحِهمَا للطفل ، وهناك آثار كثيرة فى هذا الشأن ، نذكرِ منها ما يلى :

عن عبد الله بن عمْرو أن امرأةً قالت : « يارسول الله إن ابنِي هذا كان بطنى له وعاء ، وثديى له سِقَاء ، وحِجْرى له حِوَاء ، وإنَّ أباه طلَّقنى وأراد أن يَنْزِعَه منى ، فقال رسول الله : أنتِ أَحَقُّ به ما لم تَنْكِحِى » [1] .

٥ – النفقة :

لقد أوجب الإسلام نفقة الأولاد على والدهم ما داموا عاجزين عن العمل والكسب ، ونعنى بالنفقة توفير ما يحتاج إليه الصغير من طعام وكسوة وشراب ومسكن ، وما إلى ذلك ، بحسب العُرْفِ والعادة ، قال الله تعالى : ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴾ [2] . عن ثَوْبَانَ أنه قال : قال رسول الله – ﷺ : « أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه الرجل على دابته فى سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله » وفى رواية ابن أبى شيبة « أعظمها أجرًا الذى أنفقْتَهُ على أهلك » [3] .

كما أن تضييع الأولاد ، وترك الإنفاق عليهم ، وإهمال رعايتهم من كبائر الذنوب التى يجب البعد عنها ، قال رسول الله – ﷺ : « كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوتُ » [4] .

عن عائشة أن هندًا زوجة أبى سفيان قالت : « يارسول الله إن أبا سفيان

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم .

(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٢٣٣ .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه أبو داود والحاكم .

شحيح ، ولا يعطى من النفقة ما يكفينى وولدى إلا ما أَخَذْتُ من ماله بغير عِلْمِهِ ، فقال لها النبى – ﷺ : خُذِى ما يَكْفِيك وَوَلَدَكِ بالمعروف » (١) .

٦ – آداب الأكل والشرب :

إذا كانت الشريعة قد أوجبت للأولاد النفقةَ على الآباء ، بما فيها من الطعام والشراب ، فإنها قد أرشدت إلى اتّبَاعِ الآداب العامة التى تجعل الطعام والشراب يحقق الفائدة المرجوة من تناوله ، ولا يُنَفِّرُ الجُلَسَاء والمخالطين ، فعلى الوالد أن يعلم أطفاله القواعدَ السليمة ، والعاداتِ الصحيحةَ منذ نعومة أظفارهم ، كما أن عليه أن يغرس فى نفوسهم حُبَّ الحلال والبعد عن الحرام ، فقد رأى رسول الله – ﷺ – الحسنَ أو الحسين وهو طفل صغير ، وقد أخذ تمرة من مال الصدقة ، فنهاه عن تناولها وقال له : « نحن آل محمد لا نأكل الصدقة » .

ونذكر فيما يلى جانباً من آداب الطعام والشراب :

• الاعتدال فى تناول الطعام والشراب :

ينبغى أن يُعَوِّدَ الوالدُ ولدَه على عدم الإفراط فى تناول الطعام أو الشراب ، فضلًا عن تعليمه عدم التفريط فيهما ، يقول الله – تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تُسْرِفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ (٢) .

وذلك لأن الإفراط يعود على الإنسان بالتخمة ، وتكرارها يفسد الجهاز الهضمى ويصيب صاحبه بالعلل والأسقام ، وأما التفريط فيسبب المخْمَصَة ، وقد تكون المخمصة شرًّا من التخمة ، يقول القائل : فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ من التُّخِمَ ...

---

(١) انظر علاقة الآباء بالأبناء ص ١٤٥ .

(٢) سورة الأعراف ، جزء من الآية : ٣١ .

وفى الأثر : المعدة بيت الداء والحِمْيَة رأس الدواء . ويقول رسول الله – ﷺ : « ماملأ آدمى وعاءً شرًّا من بطنه ، بحسب ابن آدم لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلبه ، وإن كان لابد قاعلاً فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » [1] .

• **غسل اليدين قبل تناول الطعام وبعد الفراغ منه :**

فذلك سنة رسول الله – ﷺ – فضلًا عمَّا فيه من التخلص من الأوساخ الضارة التى قد تكون عالقةً باليدين ، وأيضًا فإن ذلك يضفى على الطعام البَرَكَةَ ، والوَفْرَةَ ، فعن سلمان الفارسى قال : قال رسول الله – ﷺ : « بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده » [2] وعن أنس قال : سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : « من أحب أن يكثر الله خيرَ بيته فليتوضأ إذا حضر غذاؤه وإذا رُفِعَ » [3] .

• **تسمية الله فى ابتدائه والحمد فى آخره :**

فعن عائشة أنها قالت : قال رسول الله – ﷺ : « إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى ، فإن نَسِيَ أن يذكر اسم الله تعالى فى أوله فليقل : باسم الله أوَّلَهُ وآخِرَه » [4] .

وكان النبى – ﷺ – إذا أكل أو شَرِب يقول : « الحمد لله الذى أطعَمَنَا وسَقَانا وجعَلَنا مُسلمين » [5] .

---

(١) رواه الإمام أحمد والترمذى .
(٢) رواه أبو داود والترمذى .
(٣) رواه ابن ماجه والبيهقى .
(٤) رواه أبو داود والترمذى .
(٥) رواه الإمام أحمد .

• لا يعيب الطعام الذى يقدم إليه :

عن أبى هريرة قال : « ما عابَ رسولُ الله – ﷺ – طعامًا قط ، إن اشتهاه أكلَه ، وإن كرِهَه تركه » (١) .

ومن ذلك ما ورد أنه لم يأكل من الضَّبِّ حين قُدم إليه على الطعام ، فسأله بعض الحاضرين مَخَافَةَ أن يكونَ مُحرَّمًا ، فأجابهم : « لم يكن فى أرض قومى فأجد نفسى تَعَافُهُ » . فأنواع الأطعمة مبنية على الذَّوْقِ والعادة ، وطُرُقُ طَهْيِ الطعام تختلف من بيئة لأخرى .

• **أن يأكل بيمينه وأن يأكل مما يليه :**

عن عمرو بن أبى سلمة قال : « كنت غلامًا فى حِجْرِ رسول الله – ﷺ – وكانت يدى تَطِيشُ فى الصَّحْفَةِ (يأكل من أماكن مختلفة من الإناء) فقال لى رسول الله – ﷺ : ياغلام سَمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » (٢) .

• **أن يأكل جالساً :**

عن أنس عن النبى – ﷺ – أنه « نهى أن يشرب الرجل قائماً ، قال قتادة : فقلنا لأنس فالأكل ؟ قال : ذلك أشَرّ » (٣) .

• ينبغى ألا يكون لمضغه الطعامَ ولا لتناوله الشرابَ صوتٌ مسموع يُنَفِّرُ مَنْ حولَه ، وكذلك لا يُحْدِث صوتاً بأدوات المائدة حينَ استخدامها .

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

٧ - تعلم الرياضات المفيدة :

ويجب على الآباء تدريب أبنائهم على ممارسة الرياضات البدنية النافعة والمفيدة ، كالمشى ، والعَدْوِ ، والسباحة ، والرماية ، وركوب الخيل ، هذا بالنسبة للأبناء ، أما البنات فيمكن تدريبهن على الرياضات التى تتناسب مع طبيعتهن مع اسْتِتَارِهِنَّ عن أعين الرجال ، ومن الرياضات المفيدة لهن تعليمُهُنَّ الحرفَ النافعة لشغل أوقات الفراغ ، كالغَزْلِ والنَّسْج ، وأعمال الإبرة وهو ما يعرف حديثاً بـ « التريكو » ، قال رسول الله - ﷺ : « علموا أبناءكم السباحة والرمى والمرأة المغزل » . وفى حديث آخر : « علموا أبناءكم السباحة والرماية ، ونعم لَهْوُ المؤمِنةِ فى بيتها المغزل » [١] .

وفى تجربة اليابان حديثاً مايدل على أن المرأة إذا شغلت أوقات فراغها فى بيتها بالحرف المفيدة ، فإن ذلك يعود على الاقتصاد العام بالازدهار .

ولا شك فى أن ممارسة الرياضات البدنية المفيدة يعود على ممارسيها باللياقة البدنية الجيدة ، والقدرة على السعى والعمل وتحمل المشاق ، فضلا عن امتصاصها لطاقاتهم الزائدة ، وفى ذلك ما يصرفهم عن الوقوع فى الشهوات المحظورة أو مخالطة قرناء السوء ، أى أنها تحقق لهم القوة البدنية والقوة الإيمانية ، مصداقاً لقول رسول الله - ﷺ : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » [٢] . ولقد روى الإمام مسلم فى صحيحه أن رسول الله - ﷺ - تلا قوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ﴾ [٣] ثم قال : ألا إن القوَّةَ الرَّمْىُ ، ألا إن القوَّةَ الرمى ، ألا إن القوة الرمى » .

---

(١) فيض القدير ٤/٣٢٧ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة الأنفال : من الآية ٦٠ .

٨ – تقويم السلوك الجنسى :

من الأمور الصحية الهامة التى أوجبها الإسلام على الآباء تقويم السلوك الجنسى للأبناء ، عن طريق المراقبة المستمرة ، والتوعية الجادة ، حتى يجتازوا تلك المرحلة الحرجة فى حياتهم ، فالغريزة الجنسية تنمو بنمو الوليد حتى تصل قِمَّتَهَا عند البلوغ ، وبها يُسْتَدَلُّ على النضج الجنسى ، وتبدأ التكاليف الشرعية ، فلا ينبغى تجاهل تلك الغريزة ، ولا التهوين من شأنها ، وإنما يجب الاهتمام بها لإمكان السيطرة عليها ، وتوجيهها الوجهة الطيبة ؛ ذلك لأن غاية تقويم السلوك الجنسى لدى النَّشْءِ إنما هو إقامة مجتمع فاضل لا يَعْكُفُ على الشهوات ، وإنما تنطلق ملكاتُ الخير فيه نحو الإبداع والابتكار .

ومن التوجيهات الإسلامية التى وضعها الإسلام للمساهمة فى تقويم السلوك الجنسى لدى الناشئة من الأبناء مايلى :

• **غض البصر :**

يقول الله – تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يَغُضُّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يَغْضُضْنَ من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يُبْدِينَ زينتهن إلا ما ظهر منها وليَضْرِبْنَ بخُمُرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبُعُولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غيرِ أُولى الإرْبَةِ من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن لِيُعْلَمَ ما يُخْفِين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ [1] .

---

(١) سورة النور : ٣٠ و ٣١ .

عن أبى هريرة عن النبى – ﷺ قال : « كُتِبَ على ابن آدم نصيبُه من الزنى فهو مدرك لا محالة ، العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرِّجْلُ زناها الخُطَا ، والقلب يهوى ويَتَمَنَّى ، ويصدق ذلك الفرجُ أو يكذبه » (١) .

عن أم سلمة قالت : كنت عند النبى – ﷺ – وعنده ميمونة ، فأقبل ابن أم مكتوم ، وذلك بعد أن أُمِرْنَا بالحجاب ، فقال النبى : « احْتَجِبَا منه » فقلنا : يارسول الله أليس هو أعمى لا يُبْصِرُنَا ولا يعرفنا ؟ فقال : « أَفَعَمْيَاوَانِ أنتما ؟ أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانُه ؟ » (٢) .

ولقد بين رسول الله – ﷺ – أن ترك النظر إلى المحرمات يورث حلاوة الطاعة فى القلب ، وإليك طائفة من النصوص الدالة على ذلك :

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله – ﷺ – فيما يرويه عن رب العزة تبارك وتعالى : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، من تركها من مخافتى أَبْدَلْتُه إيمانًا يجد حلاوَتَه فى قلبه » (٣) .

عن أبى أمامة عن النبى – ﷺ – قال : « مامن مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يَغُضُّ بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها فى قلبه » (٤) .

عن عبادة بن الصامت أن النبى – ﷺ – قال : اضمنوا لى ستًّا من

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أبو داود والترمذى .

(٣) رواه الطبرانى والحاكم .

(٤) رواه أحمد والطبرانى .

أنفسكم أضمنْ لكم الجنةَ ، اصدُقُوا إذا حدَّثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدُّوا الأمانة إذا ائتُمِنْتُم ، واحفظوا فروجَكم ، وغُضُّوا أبصاركم ، وكُفوا أيديَكم » (١) .

وروى البخارى أن النبى - ﷺ - أرْدَفَ الفضلَ بن العباس رضى الله عنهما يوم النحر خَلْفَه ، وكان الفَضْل قد ناهَزَ البلوغ ، فَطَفِقَ الفضل ينظر إلى امرأة وضيئة من خَثْعَم ، كانت تسأل النبى عن أمور دينها ، فأخذ النبى يُعَنِّفُ الفَضْل فَحَوَّلَ وجهَه عن النظر إليها » . وفى رواية الترمذى : أن العباس قال للرسول - ﷺ : لَوَيْتَ عُنَقَ ابنِ عَمِّك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « رأيتُ شابًّا وشابة فلم آمَنْ عليهما الفِتْنَةَ » .

أى أن النبى كان يُقَوِّمُ سلوكَ الفضل ويَصْرِفُه عن النَّظَر المحرَّم .

وفى هذه المعانى يقول القائل :

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظمُ النار من مستصغر الشرر
كم نظرةٍ فعلتْ فى قلب صاحبها ... فِعلَ السهام بلا قَوْسٍ ولا وَتَر
والمرء ما دام ذا عين يُقَلِّبُهـا ... فى أَعْيُنِ الغِيد مَوْقُوف على الخطر
يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مـا ضَرَّ مُهجَتَـه ... لا مرحبًا بسرور عاد بـالضرر

• **الابتعاد عن عوامل الإثارة الجنسية :**

ومن الأمور التى تعين على عدم الإثارة الجنسية لدى المراهقين مايلى :

(أ) التفريق بين الذكور والإناث فى المضاجع :

يقول رسول الله - ﷺ - : « مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفَرِّقوا بينهم فى المضَاجع » (٢) .

---

(١) رواه أحمد وابن حبان .

(٢) رواه الحاكم وأبو داود .

وذلك تجنبًا للإثارة الجنسية إذا رأى بعضهم عورات البعض حَالَ النوم أو اليقظة .

(ب) تعليمهم آداب الاستئذان :

ومن المفيد أن نذكر الآية القرآنية التى توضح آداب الاستئذان ، يقول الله – تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لِيَسْتَأْذِنْكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الْحُلُمَ منكم ثلاث مرات : من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم ، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ، طَوَّافون عليكم بعضكم على بعض ، كذلك يبين الله لكم الآيات ، والله عليم حكيم * وإذا بلغ الأطفال منكم الحُلُم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم ، كذلك يبين الله لكم آياته ، والله عليم حكيم ﴾ (١) .

فالأطفال الذين لم يبلغوا الحلم يجب على الآباء تعويدهم الاستئذان فى هذه الأوقات الثلاثة ، وهى قبل صلاة الفجر ، ووقت الظهيرة ، وبعد صلاة العشاء ؛ لأن الآباء غالباً ما يَهْجَعُونَ إلى الراحة والسكون فى هذه الأوقات ، وذلك يَسْتَتْبِعُ خَلْعَ الملابس ، إلا الداخليةَ ، وفى ذلك احتمال أن تنكشف السوءاتُ ؛ ولذا وجب الاستئذان . وأما إذا بلغ الأطفال الحلم فعليهم أن يستأذنوا فى جميع الأوقات التى يدخلون فيها على الكبار .

(جـ) عدم اختلاط الجنسين والبعد عن الصور الخليعة والأفلام الجنسية الوضيعة التى تحرك كامن الشهوةوتثير الغريزة الجنسية فيكتوى الأبناء بِلَظَاهَا ، هذا فضلًا عن الابتعاد عما يعرف حاليًا بأفلام الجنس التى أصبحت متاحةً بسبب التقدم

---

(١) سورة النور،الآيتان : ٥٨ و ٥٩ .

التِّقَنِيّ فى وسائل البَثّ والالْتِقَاط ، كأجهزة الفيديو والدوائر التليفزيونية المغلقة ، فهذا شَرٌّ مستطيرٌ وخطرٌ دَاهِم .

(د) المحافظة على حدود الجنس فلا تَشَبُّهَ ولا تَخَنُّثَ :

وذلك واجب أكيد على الآباء بالنسبة للأبناء ، فعليهم أن يعملوا جاهدين على حدود الجنس بين الفتى والفتاة ، حتى لا يتشبه الولد بالبنت ، ولا تتشبه الفتاة بالفتى ، وحتى لا تسرى فى الأمة مظاهر التخنث والميُوعة ، ولا يُعتَدى على الفضيلة والأخلاق ، عن ابن عباس أن رسول الله – ﷺ – قال : « لعن الله المخنَّثين من الرجال ، والمترجلاتِ من النساء » وهذه رواية البخارى ، وأبو داود ، والترمذى ، وفى لفظ آخر عند أحمد وأبى داود وابن ماجه : « لعن الله المتشبهاتِ من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء » .

ومن التشبه أن تَلْبَس النساءُ الشَّعْرَ المستعار (الباروكه) وأن يلبس الرجال حُلِىَّ النساء الذهبية ، كالسلاسل فى الأعناق وملابس الحرير ، فعن سعيد بن المسيب قال : « قدم معاوية المدينة فَخَطَبَنَا وأَخْرَجَ كُبَّةً من شعر فقال : ماكنت أرى أن أحدًا يفعله إلا اليهود ، إن رسول الله بَلَغَه فَسَمَّاه الزُّور » [1] . وفى لفظ مسلم : إن معاوية قال ذات يوم : « إنكم قد أحدثتم زِىَّ سُوء ، وإن النبى – ﷺ – نهى عن الزُّورِ » .

وعن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ – قال : « حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتى ، وأُحِلَّ لإناثهم » [2] .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه الترمذى .

(ب) الرعاية الخُلُقِيَّة :

ونعنى بالرعاية الخلقية التَّنْشِئَةَ على حُبِّ معالى الأمور والترفُّع عن سَفْسَافِها ، كل ذلك فى إطار من تعاليم الدين ومبادئه . عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله – ﷺ – قال : « ما نَحَلَ والدٌ ولدًا من نُحْل أفضل من أدب حسن » (١) .

وعن ابن عباس أن رسول الله – ﷺ قال : « أكرِموا أولادَكم وأحْسِنوا أدبهم » (٢) .

١ – تسمية المولود :

يجب على الوالدين اختيار اسم عَلَم لوليدهما ، ذكراً كان أو أنثى ، كما يستحب أن تُنْتَقَى الأسماء الحسنة ، وخير الأسماء عبد الله وعبد الرحمٰن ، وما شابههما من الأسماء المعبدة لله – تعالى – ، وكذلك أسماء الأنبياء ؛ وذلك لتأخذ الأمة الإسلامية طابعها الخاص والمميز فى أسمائها ؛ لتحمل أعلام العبودية والرحمة ، وتشرف بالانتساب إلى رسول الله – ﷺ – وتعمق معانى الخير فى جوانب الحياة ، وهذه طائفة من الأحاديث الدالة على ماسبق بيانه :

- عن ابن عباس قال : قال رسول الله – ﷺ – : « من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ، ويحسنَ اسمه » (٣) .
- عن أنس عن النبى – ﷺ – أنه قال : « الغلام يُعَقُّ عنه يوم

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) أخرجه البيهقى .

السابع ، ويُسَمَّى ، ويُمَاطُ عنه الأَذَى ، فإذا بلغ سِتَّ سنين أُدِّبَ ، وإذا بلغ تسعَ سنين عُزِلَ عن فراشه ، فإذا بلغَ ثلاثَ عَشرَةَ سنةً ، ضُرِبَ على الصلاة والصوم ، فإذا بلغ ستَّ عشرة زَوَّجَهُ أَبُوه ، ثم أخذ بيده وقال : قد أَدَّبتُكَ وعلمتك وأنكَحْتُك ، وأَعُوذُ بالله فى الدنيا ، وعذابك فى الآخرة » (١) .

• عن ابن عمر قال : قال رسول الله - ﷺ : « إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبد الله وعبدُ الرحمٰن » (٢) .

• عن أبى الدَّرْدَاء قال : قال رسول الله - ﷺ : « إنكم تُدْعَوْنَ يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم ، فأَحْسِنوا أسماءَكم » (٣) .

• عن أبى وَهْب الجشعى قال : قال رسول الله - ﷺ : « تَسَمَّوْا بأسماء الأنبياء ، وأَحَبُّ الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ، وأَصْدقُها حارث وهمام ، وأقبحها حرب ومِرَّة » (٤) .

ويتضح من ذلك أَنَّ الأسماءَ المحبوبةَ ثلاثة أقسام : فأفضلها : وأعلاها عبد الله وعبد الرحمن ونحوهما مما أُضِيف إلى الله ، أو إلى اسم من أسماء الذات العَلِيَّةِ ، كعبد الفتاح وعبد الحسيب ، وأوسطها : أسماء الأنبياء ، كأسماء نبينا محمد - ﷺ - وسائرِ إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وأصدقُها : ما كان وَصْفاً للإنسان كحارث وهمام .

أما الأسماء التى تَتَّصِفُ بالرِّقَّةِ والتَّكَسُّر والميوُعَةِ ، فيجب أن نَصُونَ أبناءَنا

---

(١) رواه ابن حيان .

(٢) رواه مسلم والترمذى وأبو داود .

(٣) رواه أبو داود .

(٤) رواه أبو داود والنسائى .

عن التسمِّى بها ، أو أن تكون أعلامًا عليهم ، حتى لا تسرى إليهم بعضُ أوصافها فللمرء نصيبٌ من اسمه – كما يقولون – . ومن الطريف فى هذا الشأن ما رواه يحيى بن سعيد « أن عمر بن الخطاب قال لرجل : ما اسمك ؟ . قال : جَمْرَة . قال : ابن مَنْ ؟ قال : ابن شِهَاب . قال : مِمَّنْ ؟ قال : من الحُرْقَة .

قال : أين مسْكَنُكَ ؟ . قال : بِحَرَّةِ النَّار .

قال : بِأَيَّتِهَا ؟ قال : بنات لَظَى . قال عمر : أدْرِكْ أهلَكَ فقد هَلَكُوا واحْتَرَقُوا ، فكان كما قال عمر » [1] .

وقد ثبت أن رسول الله – ﷺ – قد غير بعض الأسماء القبيحة التى تَسَمَّى بها أُنَاسٌ من المؤمنين . فمن ذلك ما قاله أبو داود : « غَيَّر رسول الله – ﷺ – اسم العاص ، وعزيز ، وعُتُلَّة ، وشيطان ، والحكم ، وغُرَاب ، وحباب ، وسمى حربًا : سلمًا ، وسمى المضطجع : المنبعث ، وبنى الزَّنْيَة سماهم : بنى الرِّشدة ، وسمى بنى مغوية : بنى رشدة » تركت الأسانيد اختصارًا .

٢ – التعليم :

وقد أوجب الإسلام على الأب تعليم أبنائه ، وقد وردت بذلك النصوص الكثيرة من القرآن والسنة ، ونذكر جانبًا منها فيما يلى :

• قال الله – تعالى – : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خَلَق * خلق الإنسان من عَلَق * اقرأ وربك الأكرم * الذى عَلَّمَ بالقلم * علم الإنسان مَالَمْ يعلم ﴾ [2] .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ .

(٢) سورة العَلَق : ١ – ٥ .

• وقال أيضا : ﴿ وقل ربِّ زِدْنِى علماً ﴾ [1] .

• عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » [2] .

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ : « من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سَهَّلَ الله له طريقاً إلى الجنة » [3] .

• عن أبى أُمَامَةَ أن رسول الله - ﷺ - قال : « فَضْل العالم على العابد كفَضْلى على أدْناكم ، إن الله وملائكَتَه وأهلَ السماوات والأرض حتى النَّمْلَةَ فى حجرها ، وحتى الحوتَ لَيُصَلُّونَ على مُعَلِّمى الناسِ الْخَيْرَ » [4] .

معنى التعليم :

يقصد به العمل الدائم والدائب والمحاولات الجادة التى يبذلها الآباء ، وكذلك معاونة المؤسسات المسئولة عن التعليم والثقافة والتوجيه والإعلام فى المجتمع ، من أجل رفع المستوى الذِّهْنِى والفكرى للنَّشْءِ ، عن طريق تهيئة المناخ الصالح ، بإزالة المعَوِّقَات ، وتذليل الصعوبات ، وإتاحة ما يمكن إتاحتُه من الإمكانات ، فَيَشِبّ الأفراد صالحين فى أنفسهم وتسرى بهم وعلى أيديهم روح الصلاح فى المجتمعات والأوطان ، ولا يقتصر مسرح هذه العمليات الهامة على البيت ، وإنما يمتد ليشملَ المدرسةَ ومختلفَ المواقع الأخرى فى المجتمع ، مما تقع عليه أبصار النَّشْءِ وما يتعاملون معه سَلْبًا أو إيجاباً ، كما أن هذه العمليات

---

(١) سورة طه ، جزء من الآية : ١١٤ .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه الترمذى .

تصاحب الوليد منذ أن يرى ضوء الدنيا بعينيه ، ويستمع لما فيها بأذنيه على نحو ما أوضحه أحد الحكماء قائلا : « لاَعِب ابنَكَ سَبْعًا ، ثم أَدِّبْه سَبْعاً ، ثم صاحبه سبعًا ، ثم اتْرُك له الحبلَ على الغَارِبِ » .

أسس تعليم النَّشْءِ :

(أ) إيقاظ الضمير :

ويكون ذلك بما يتناسب والمراحل العمرية المختلفة للطفل ، وإيقاظ الضمير لدى الناشئة أساسه الإيمان بالله وترسيخ عقيدة التوحيد فى الأذهان ، وأنها فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وأنها صِبْغة الله ، ومَنْ أحسنُ من الله صِبْغة ؟ قال رسول الله – ﷺ – : « كل مولود يولد على الفطرة فأَبَوَاه يُهَوِّدَانِه أو يُمَجِّسَانه أو يُنَصِّرَانه » [1] حتى إذا ماشَبَّ عن الطوق تَرَسَّخَتْ فى وُجْدَانه عقيدةُ المراقبة والمشاهدة لله رب العالمين ، فقد سُئِل رسولُ الله – ﷺ – عن الإحسان فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

ومن النماذج الجيِّدة فى هذا الصدد والتى ينبغى على الآباء ، فضلا عن المربين أن يلقنوها الناشئة – ما رُوِى من أن معلماً أراد أن يختبر ذكاء الصبيان ومدى تيقظ ضمائرهم ، فدفع إلى كل منهم طائرًا وسكيناً وقال له : اذهب إلى مكان لا يراك فيه أحد ثم اذبح الطائر ، فذهبوا وعادوا وقد ذبحوا طيورهم ، إلا صبيًّا ، جاء بطائره وهو مضطرب ، فسأله المعلم : لماذا لم تذبح الطائر ؟ فقال له : إنك قلت لى : اذبح الطائر فى مكان لا يراك فيه أحد ، فكنتُ كلما ذهبت إلى مكان وجدتُ الله معى ويرانى فلم أستطع أن أذبح الطائر ، وصدق

---

(١) رواه البخارى .

الله العظيم إذ يقول : ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما فى السماوات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكْثَرَ إلَّا هو معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شىء عليم » [1] .

ومن الصور الْمُحَسَّةِ التى تعين على إيقاظ الضمير وتقويتِهِ ما رواه النواس ابن سمعان عن النبى – ﷺ – قال : « ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى جَنَبَتَى الِّصراط سُورَان فيهما أبواب مُفَتَّحةٌ ، وعلى الأبواب ستُور مُرْخَاة ، وعلى باب الصراط داعٍ يقول : يأيها الناس ادْخُلوا الصراطَ جميعًا ولا تَعُوجوا ، وداعٍ يدعو من جَوْفِ الصراط ، فإذا أراد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال : وَيْحَك لا تَفْتَحْه ، فإنك إنْ تَفْتَحْه تَلِجْه (تدخله) والصراط : الإسلام ، والسوران : حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم الله ، وذلك الداعى على الصراط : كتاب الله ، والداعى من فوق : واعظ الله فى قلب كل مسلم » [2] .

(ب) تَحَرِّى اختيار الرِّفاق والمخالطين :

إن الإنسان فى أى عصر ومصر ، فى أى زمان وفى أى مكان ، بحاجة إلى اتخاذ الرِّفَاقِ والإخوان ، والأصدقاء والأعْوَان ؛ لأن الإنسان كما يقول العلامة ابن خلدون : « الإنسان مَدَنِىٌّ بِطَبْعِه » ، ولما كان الصديق يُفْضِى إلى صديقه بِذَاتِ نفسه ، ويُشْرِكه فى أَخَصِّ ما يَخُصُّه ؛ لِيَأْنَسَ برأيه ، ويَسْتَنِيرَ بفكره ، فإن دَوْرَ الأصدقاء والرفاق دور لا يُجْحَد ، ويجب ألا يُغْفَل لدى الآباء والمرَبِّين بالنسبة للناشئة ، فعليهم أن يرشدوا الأبناء إلى اختيار الإخوان والرفاق الصالحين

---

(١) سورة المجادله : ٧ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ، وهذا لفظه ، والنسائى والترمذى وحسَّنه .

لا الطالحين ، الذين لهم صلة بالله ، لا الذين يتنكَّبُونَ جانب الحق ويعرضون عن طريق الله ، ومن النصوص التى ترشد إلى ذلك نذكر ما يلى :

• يقول الله – تعالى – : ﴿ وَاصْبِرْ نفَسك مع الذين يدعون زبهم بالغَداة والعَشِيِّ يريدون وجهه ولا تَعْدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تُطِعْ من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فُرُطاً ﴾ (١) .

• ويقول الله – تعالى : ﴿ ولا تركَنُوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياه ثم لا تُنصرون » (٢) .

• ويقول – عز من قائل : ﴿ الأَخِلَّاء يومئذ بعضهم لبعض عَدُوٌّ إلا المتقين ﴾ (٣) .

• يقول رسول الله – ﷺ : « إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يُحْذِيكَ (يعطيك على وجه الهدية) ، وإما أن تَبْتَاع منه ، وإما أن تَجِد منه ريحًا طيبة ، ونافِخُ الكِير إمَّا أن يَحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثةً » (٤) .

• عن أبى هريرة أن رسول الله – ﷺ – قال : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخَالِلْ » (٥) .

---

(١) سورة الكهف : ٢٨ .

(٢) سورة هود : ١١٣ .

(٣) سورة الزخرف : ٦٧ .

(٤) رواه البخارى .

(٥) رواه أحمد والحاكم والبيهقى .

(جـ) الاستقلال بالرأى :

وتلك ناحية هامة يجب الالتفات إليها عند تعليم النشء ، ألا وهى تدريبهم على الاستقلال بالرأى والاعتداد به متى استكمل أسباب النضج الفكرى والتجربة والمِرَان ؛ ذلك لأن مَغَبَّةَالتقليد خطيرة ، فهى تجعل صاحبها تابعًا لا متبوعًا ، فتقتل فيه روح الإقدام ، فقد رَوَى الترمذى عن النبى - ﷺ - أنه قال : « لا يَكُنْ أحدكم إمَّعَةً يقول : أنا مع الناس ، إنْ أحسنَ الناسُ أحسنتُ ، وإن أساءوا أسأتُ ، ولكن وَطِّنُوا أنفسَكُم ، إنْ أحسن الناس أن تُحسنوا ، وإن أساءوا أن تَجْتَنِبُوا إسَاءَتَهُمْ » .

وكما يقول رسول الله - ﷺ - : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق الناس بها » [1] .

(د) الاقتداء بالسلف :

يجب أن نُوَجِّهَ النشء إلى الاقتداء بالسلف الصالح بصفه عامة ، والشَّبَابِ منهم بصفة خاصة .

٣ - العدل والمساواة بين الأبناء :

إن حق العدل والمساواة بين الأبناء أمر قد قدره الإسلام وَنَبَّهَ على التَّحَلِّى به ، حتى لا تتسرب العداوة ، والإحَنُ إلى قلوب الأشِقَّاء ، فيكون التَّدَابُرُ والتقاطع ، لا التواصل والتراحم ، وإذا كانت طبائع الأبناء مختلفةً فذلك أمر غير مُسْتَغْرَب ، ولكن الأغرب منه أن يجنح الآباء فى عواطفهم فيفعلون مالم يأذن به الله ، من تفضيل بعض الأبناء على بعض ، بَدْءًا بالأحَاسِيسِ والمشَاعِرِ ، وانْتِهَاءً

---

(١) رواه الترمذى ، كتاب العلم ، باب فضل العلم على العبادة ٥/٥١ .

بالثروة والمال ، بل إن بعض الآباء قد يتجاوز مبدأ التفضيل إلى الحِرْمَان الجزْئى أو الكُلِّى ، مع أن الله سبحانه وتعالى قد قال فى كتابه : ﴿ آباؤُكم وأبناؤُكم لا تَدْرُونَ أيُّهُمْ أقْرَبُ لكم نَفْعاً ﴾ (١) .

وقد سمى رسول الله – ﷺ – تفضيلَ بعض الأبناء على بعض جَوْرًا ، فعن النعمان بن بشير قال : « أعطانى أبى عطية و لم تَرْضَ أمِّى حتى يُشْهِدَ عليها رسولَ الله – ﷺ – فانْطَلَقَ أبى إلى رسول الله – ﷺ – وقال له : إنى نَحَلْتُ ابنى هذا غُلامًا (أى أعطيته عبدًا) فقال له رسول الله : أَلَكَ وَلَدٌ سواه ؟ قال : نعم . قال رسول الله : أَكُلَّهُمْ وهَبْتَ له مِثْلَ هذا ؟ قال : لا . فقال رسول الله : فلا تُشْهِدْنِى إذًا ، فإنى لا أشهد على جَوْر ، يابشير أتحب أن يكونوا لك فى البِر سواء ؟ قال : نعم . قال إذًا فاذهب فارْجعه ، إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم كما أن لك من الحق عليهم أن يَبَرُّوكَ ، ثم قال : اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » (٢) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ – : « أعِينُوا أوْلاَدَكُم على البِرّ بالإحْسَانِ إليهم ، وعدم التَّضْيِيقِ عليهم ، والتَّسْوِيَةِ بينهم فى العَطِيَّةِ ، من شاء اسْتَخْرَجَ العقوقَ من ولده » (٣) .

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله – ﷺ – : « من كانت له أنثى فلم يَئِدْهَا ، و لم يُهِنْهَا ، و لم يُؤْثِرْ وَلَدَه (أى الذكر) عليها أدخله الله الجنة » (٤) .

---

(١) النساء ، جزء من الآية : ١١ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٤) رواه أبو داود والحاكم .

وروى الطبرانى أن رسول الله - ﷺ - قال : « اعْدلوا بين أبنائكم فى النَّحْلِ (أى العطاء) كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر واللطف » .

ولو تأملنا سورة يوسف عليه السلام لَبَدَا لنا جَلِيًّا أن أحداثها التى وقعت فى محيط هذه الأسرة النبوية وما صاحبها من مآسٍ وآلام فرقت بين أفرادها ، وأودت ببصر نبى الله « يعقوب » عليه السلام حزناً على مصير ولده « يوسف » المجهول ، لو تأملنا كل ذلك لأيقنّا بأن السبب الحقيقى هو مابدا لأبناء يعقوب من أن أباهم يفضل يوسف وأخاه الشقيق « بنيامين » عليهم فى القرب والعطف والكرم ، فبيتوا فى الظلام أمرًا تلته أمور وفى ذلك يقول الله - تعالى : ﴿ لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين * إذ قالوا لَيوسُفُ وأخوه أحبُّ إلى أبينا منا ونحن عُصبة إن أبانا لفى ضلال مبين * اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا يَخْلُ لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قومًا صالحين ﴾ (١) .

(جـ) الرعاية الدينية :

(١) التأذين والإقامة فى أذنيه عقب الولادة :

ينبغى أن نُرَدِّدَ ألفاظ الأذان فى الأُذن اليمنى للمولود عَقِبَ ولادته ، كما ينبغى أن نردد ألفاظ الإقامة فى أذنه اليسرى ، ويكون ذلك بصوت هادئ لا يترتب عليه إزعاج للمولود ، ولا يؤثر تأثيرًا ضارًّا بسمعه ، فتلك سنة نبينا - ﷺ - فعن أبى رافع أنه قال : « رأيت رسول الله - ﷺ - أذَّن فى أُذُن الحسن بن على حين ولدته فاطمة » (٢) .

---

(١) سورة يوسف ، الآيات من : ٧ - ٩ .

(٢) رواه أبو داود والترمذى .

وفى رواية ابن عباس : « أن النبى أذَّن فى أذن الحسن بن على اليمنى حين ولد ، وأقام فى أذنه اليسرى » .

وفضلا عن امتثال السنة فى هذا الفعل فإن فيه من الخير للصبى مافيه ، فمن ذلك أنه يطرد الشياطين ، فعن الحسن بن على - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « من وُلِدَ له مولود فأذَّنَ فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى لم تضره أمُّ الصِّبْيان (أى التابع أو القرين) [1] .

(٢) العقيقة :

ومن الأمور التى رغَّب فيها النبى - ﷺ - أن يذبح عن المولود شاة فى يوم سابعه ، وهى سنة عند جمهور الفقهاء ، خلافاً للحنفية الذين لا يرون مشروعيتها لأحاديث رَدَّ الجمهور عليها ، يقول رسول الله - ﷺ - فيما رواه سَلْمَان بن عمار الضّبى : « مع الغلام عقيقة ، فأهْرِيقوُا عَنْهُ دمًا ، وأمِيطُوا عنه الأذَى » [2] .

ويقول رسول الله - ﷺ : « الغلام مُرْتَهَنٌ بعقيقته ، يُذْبَحُ عنه يوم السابع ويُسَمَّى ويُحْلَق » [3] .

وقد أفادت بعض الأحاديث أن عقيقة الذكر شاتان ، والأنثى شاة واحدة . كما أفادَ بعضها أن العقيقة شاة للذكر والأنثى بدون تفرقة ، وإعمالًا للنصوص الوارِدة وتوفيقًا بينها ، فمن كان فى سَعَة من العيش فعليه أن يَذْبَحَ عن الذكر شاتين وعن الأنثى شاةً واحِدَةً ، ومن قُدِرَ عليه رزقه فَيُجْزِيهِ شاةٌ واحدة عن كلٍّ من الذكر والأنثى .

---

(١) رواه البيهقى وابن السنى .

(٢) رواه البخارى .

(٣) سنن أبى داود .

وفضلًا عن أن العقيقة قربة لله فهى مظهر من مظاهر الفرح بالمولود مقرونٌ بالطاعة ، كما أنها من مظاهر التكافل الاجتماعى حيث يطعم منها الفقراء ، وفى ذلك توثيق لِعُرَا الأُلفة والمحبة بين أفراد المجتمع ، وببركتها يدفع الله عن المولود وعن أهله الشرور ، رجاء أن يُنْبِتَهُ الله نَبَاتًا حَسَناً .

(٣) تعلُّم أصول الدين :

ينبغى لولى الأمر أن يعلم أبناءه أصول الدين منذ نعومة أظفارهم ، يُرْفِقُ بهم فى هذا الشأن ، ويتدرج بهم بحسب مرحلة العمر التى يكونون فيها ، فعندما يبدءُون التدريب على الكلام يُعَوِّدُهُم كَلِمَةَ التوحيد ، فعن ابن عباس قال : قال رسول الله – ﷺ : « افْتَحُوا على صِبْيَانِكم أَوَّلَ كَلِمَةٍ بلا إله إلَّا الله » (١) . وأمره بالتدريب على العبادة ، كالصلاة فى سن السابعة ، فعن عمرو بن العاص أن رسول الله – ﷺ – قال : « مُرُوا أَوْلاَدَكُم بالصلاة وهم أبناءُ سَبْعِ سنين ، واضْرِبُوهم عليها وهم أبناء عَشْرٍ . وفَرِّقُوا بينهم فى المضَاجِع » (٢) .

ويجب ترويضهم على معرفة أحكام الحلال والحرام ، كما فعل النبى – ﷺ – مع الحسن أو الحسين حينما أخذ تمرة من مال الصدقة ، يقول رسول الله – ﷺ – فيما رواه ابن عباس : « اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصى الله ، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهى ، فذلك وقاية لهم ولكم من النار » .

ويكون تأديبهم فى هذا الإطار معتمدًا على ثلاثة محاور :

أولها : حب الله ورسوله .

وثانيها : حب القرآن .

---

(١) رواه الحاكم .

(٢) رواه الحاكم وأبو داود .

وثالثها : حب آل بيت رسول الله – ﷺ – ، فعَن علىٍّ رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله – ﷺ : « أَدِّبُوا أَوْلاَدَكم على ثلاث خصالٍ : حُبِّ نبيكم ، وحبِّ آلِ بَيْتِه ، وتلاوة القرآن ، فإنْ حَمَلةَ القرآن فى ظِلِّ عرش الله يوم لا ظل إلا ظله ، مع أنبيائه وأَصْفِيَائِه » (١) .

ويقول رسول الله – ﷺ – : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » (٢) .

• عن ابن عباس أن النبى – ﷺ – قال : « أحِبُّوا الله لما يَغْذُوكم من نعمه ، وأحبونى لحب الله ، وأحبوا أهْلَ بيتى لحُبِّى » (٣) .

• عن على – رضى الله عنه – أن النبى – ﷺ – أخذ بيد حَسَن وحسين فقال : « من أحبَّنى وأحب هذين وأباهما وأمَّهُمَا كان معى فى دَرَجَتِى يوم القيامة » (٤) .

• عن عبد الله بن الزبير أن النبى – ﷺ – قال : « مَثَلُ أهل البيت مثلُ سَفِينَةِ نُوحٍ ، من رَكِبَهَا نَجا ، ومن تَرَكَهَا غَرِقَ » (٥) .

• عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله – ﷺ : « إنِّى تَارِكٌ فيكم ما إنْ تمسكتم به فلن تَضِلُّوا بعدى ، كتابَ الله وعِتْرَتِى ، أَهْلَ بيتى ، ولن يَتَفَرَّقَا حتى يَرِدَا عَلَىَّ الحوضَ ، فانظروا كيفَ تَخْلُفُونى فيهما » (٦) .

---

(١) رواه الطبرانى .
(٢) رواه البيهقى والديلمى .
(٣) أخرجه الترمذى وحسنه .
(٤) رواه الترمذى بسند حسن .
(٥) أخرجه البزار .
(٦) أخرجه الترمذى وحسنه .

رياضتهم على اللجوء إلى الله فى أوقات الشدة والرخاء :

عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : كنت خلفَ النبى – ﷺ – يوماً فقال لى : « يا غُلامُ ، إنى أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظ اللهَ يحفَظْكَ ، احفظ اللهَ تجده تُجَاهَكَ ، إذا سألت فاسْأَل الله ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعنْ بالله ، واعلم أن الأُمةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رُفِعَت الأقلام وجفَّت الصحف » (١) .

(٤) رياضتهم على مكارم الأخلاق :

إن مكارم الأخلاق ميدان رحب فسيح ، يعنى التَّحَلِّى بكل مليح ، والتَّخَلِّى عن كل قبيح ، فيه يتنافس المتنافسون ، ويتسابق المتسابقون ، ولا غَرْوَ فى هذا ولا عجب ، فإن رسول الله – ﷺ – قد قَصَر رسالته على هذا الميدان فقال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، كما بلغ حَدَبُه على مكارم الأخلاق حَدَّ الثناء على المتَّصِفِينَ بها من أهل الفترة ، فَيَوْمَ أن مَرَّتْ سَفَّانة بنتُ حاتم الطائى فى السَّبْى وذكرت لرسول الله – ﷺ – جانبًا من صفات أبيها ماكان منه إلا أن أمر بإطلاق سراحها قائلا : « دعوها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق » .

وعليه فينبغى على الآباء تدريب أبنائهم منذ نُعُومَة أظْفَارهم على الأَخْذِ بالحظ الأوفر والنصيب الأكبر من مكارم الأخلاق ، وتعويدهم السلوك الطيب والخُلُق الكريم ، ولا شىءَ أنفع فى هذا الصَّدَد من أن يكونَ الآباءُ لهم قُدْوَة حسنة ، ونماذج صالحة ، وفى هذا يقول القائل : العِلْمُ فى الصِّغَر كالنَّقْشِ – على الحجر ، والعلم فى الكِبَرِ كالنَّقْشِ على الماء .

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

ويقول الآخر :

وَينشَأُ نَاشِىءُ الفِتْيَانِ مِنَّا عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

وذلك لكى يَشِبَّ الأبناء عن الطوق مسلحين بالأخلاق الحميدة ، والصفات القويمة ، التى تعينهم على الاضْطِلاَع بِحَمْلِ أَمَانَةِ المسئولية ، وشَرَفِ الذَّوْدِ عن حياض الأمة ومقدسات الدِّين .

وحتى لا تختلطَ الأُمُورُ ، وتَتَشَعَّبَ المسائل ، وَيصْعُبَ الأَمْرُ على الآباء فضلًا عن الأبناء ، فَسَنَضَعُ الخطُوطَ العريضة التى تُعِينُ على الاغْتِرَافِ من هذا النَّبْعِ الصافى ، فى إيجاز غَيْرِ مُخِلٍّ ، تَحَاشيًا للإطْنَابِ المُمِلّ ، وذلك على النحو التالى :

١ - الاستقامة :

وتعنى السَّدَاد فى الأمر ، ولزومَ طاعة الله ورسوله ، يقول الله - تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (١) .

وعن سفيان بن عبد الله قال : قلت : يارسول الله قل لى فى الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك ، قال : « قل آمنت بالله ثم استقم » (٢) .

٢ - بذل النصح للمسلمين :

ويتمثل ذلك فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على نحو ماهو مقرر فى كتب الشريعة ، شريطة أن يكون القائم به مُؤَهَّلًا لذلك وقادراً عليه ، فعن أبى رُقَيَّةَ تميم بن أَوْسٍ أن رسول الله - ﷺ - قال : « الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ، ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم » (٣) .

---

(١) الأحقاف : ١٣ .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .

كل ذلك مع مراعاة سَتْر عورات المسلمين وعدم إشاعتها ، وإجراء أحكام الناس على الظاهر ، وترك سرائرهم إلى الله ، فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ : لا يستر عبدٌ عبدًا فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة » [1] .

عن أسامة بن زيد – رضى الله عنهما – قال : « بَعَثَنَا رسول الله – ﷺ – إلى الحُرَقة من جهينة ، فَصَبَّحْنَا القومَ على مياههم ، ولحقْتُ أنا ورجل من الأنصار رجلًا منهم ، فلما غَشَيْناه قال : لا إله إلا الله ، فَكَفَّ عنه الأنصارىُّ وطَعَنْتُهُ برمحى حتى قَتَلْتُه ، فلما قَدِمْنا المدينةَ ، بلغ ذلك النبىَّ – ﷺ – فقال لى : « يا أسامة أَقَتَلْتَه بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ قلت : يارسول الله إنما كان مُتَعَوِّذًا (يقولها بلسانه لِيَنْجُوَ من القَتْل) ، فقال : « أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟! فمازال يكررها حتى تمنَّيْتُ أنِّى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم » [2] .

وفى رواية : « فقال رسول الله – ﷺ : « أقال لا إله إلا الله وقتلْتَهُ ؟! قلت : يارسول الله إنما قالها خوفًا من السلاح ، قال : أَفَلاَ شَقَقْتَ عن قلبه حتى تَعْلَم أقالها أم لا ؟! فمازال يكررها حتى تَمَنَّيْتُ أنى أسلمت يومئذ » .

٣ – رعاية حقوق ذوى القربى :

فيصلهم وإن قطعوه ، وتمتد يده بالعطاء إليهم وإن منعوه ، ولا ينتظر منهم مكافأة ، وذلك شرط الصلة ، فليس المكافئ بالواصل ، ويدخل فى هذا الباب بر أصدقاء الوالدين والأقارب والزوجة وسائر من يندب إكرامهم ، فعن ابن عمر – رضى الله عنهما – أن النبى – ﷺ – قال : « إن أبر البر أن يصل الرجل أهل وُدِّ أبيه » [3] .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) متفق عليه .

(٣) انظر رياض الصالحين ص ١٦٦ .

٤ - رعاية حقوق الجيران والإحسان إليهم :

ويكون ذلك بالسؤال عن أحوالهم ، ومشاركتهم فى الأفراح والأتراح فى غير معصية ، وتقديم العون للمحتاج منهم ، والتلطف بذويهم من أهل وولد ، فعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله - ﷺ : « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سَيُوَرِّثه » (١) .

وعن أبى ذَرٍّ قال : قال رسول الله - ﷺ : « يا أبا ذر ، إذا طبخت مَرَقَةً (أى طبخت شيئًا ذا مرقة من لحم وخلافه) فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ » (٢) .

والجار يشمل المسلم والكافر ، والعابد والفاسق ، والصديق والعدو ، والقريب والأجنبى ، والأقرب دارًا والأبعد ، فللجار القريب المسلم ثلاثة حقوق : حق الإسلام ، وحق القرابة ، وحق الجوار ، والجار المسلم له حقان : حق الجوار وحق الإسلام ، والجار الكافر له حق واحد : هو حق الجوار ، بهذا وردت الأخبار الصحيحة .

٥ - توقير العلماء وأهل الفضل والصلاح :

عن أنس قال : قال رسول الله - ﷺ : « ما أكرم شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إلا قَيَّضَ الله له من يُكْرِمُه عند سِنِّه » (٣) .

وعن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن من

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الترمذى وقال حديث غُريب .

إجلال الله – تعالى – أكرامَ ذى الشَّيْبَة المسلم ، وحامِلِ القرآن غير الغالى فيه ، والجافى عنه ، وإكرام ذى السلطان المقْسِط » (١) .

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده – رضى الله عنهم – قال : قال رسول الله – ﷺ – : « ليس منا من لم يرحم صغيرَنا ، ويعرف شَرَفَ كبيرنا » (٢) .

قال الشعبى : صلى زيد بن ثابت على جنازة ، فقربت إليه بغلته ليركبها ، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه ، فقال زيد : خَلِّ عَنْه يابن عم رسول الله ، فقال ابن عباس : هكذا أُمِرْنَا أن نفعل بالعلماء والكبراء ، فَقَبَّل زيد يَدَ عبد الله بن عباس وقال : هكذا أُمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا » (٣) .

٦ – التوسط فى مرافق الحياة :

ويعنى ذلك أن يأخذ العبد من الدنيا بقدر البلاغ ، فى سائر المرافق ، من مطعم ومشرب وملبس ومسكن ، ففى ذلك عون له على الالتفات إلى معالى الأمور والإعراض عن سَفْسَافِها ، فى خِفَّةٍ وَعُلُوِّ هِمَّةٍ ؛ لأن أكثر ما يُقْعِدُ الناسَ عن طِلاَبِ العلا هو رُكُونُهُم إلى زهرة الدنيا وزينتها ، والإقبال عليها إلى حد التقاتل يقول الله – تعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يُسْرِفوا ولم يَقْتُرُوا وكان بَيْنَ ذلك قوامًا ﴾ (٤) . ويقول – عز من قائل : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدَّارَ الآخرة ولا تَنْسَ نَصِيبَكَ من الدنيا وأَحْسِنْ كما أحسن الله إليك ﴾ (٥) . وعن

---

(١) رواه أبو داود ، وهو حديثٌ حسن .

(٢) رواه أبو داود والترمذى .

(٣) انظر إحياء علوم الدين حـ ١ ص ٨٤ .

(٤) الفرقان ، جزء من الآية : ٦٧ .

(٥) سورة القصص : ٧٧ .

عبد الله بن عمرو – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله – ﷺ : « قد أفلح من أسلَم ، وَرُزِق كفافًا ، وقَنَّعَهُ الله بما آتاه » [1] .

٧ – إفشاء السلام :

فالسلام هو تحية الإسلام ، وشعار المسلمين وتحيتهم فى الدنيا وفى الآخرة ، وهو مفتاح المحبة والأُلفة بين الناس ، فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ – : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تَحابُّوا ، أَوَلاَ أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أَفْشُوا السلام بينكم » [2] .

ويستحب أن يقول المتبدئ بالسلام : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فيأتى بضمير الجمع ، وإنْ كان المسلَّم عليه واحدًا ، ويقول المجيب : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فيأتى بواو العطف فى قوله : وعليكم .

ويسلم الراكب على الماشى ، والماشى على القاعد ، والقليل على الكثير ، ويسلم الرجل على أهله عند دخول بيته قال الله – تعالى : ﴿ فإذا دخلتم بيوتًا فسلِّموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ﴾ [3] . وعن أنس قال : قال لى رسول الله – ﷺ : « يابنى إذا دخلت على أهلك فَسَلِّمْ ، يكن بَرَكَةً عليك وعلى أهل بيتك » [4] . ولا يقول المسلِّم : سلامٌ عليكم ، ولا عليك السلام ؛ لأنها تحية الموتى ، عن أبى جُرَىٍّ الهُجَيْمِىِّ قال : أتيت رسول الله –

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة النور ، جزء من الآية : ٦١ .

(٤) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

ﷺ – فقلت : عليك السلام يارسول الله ، قال : « لا تقل : عليك السلام ، فإن « عليك السلام » تحيةُ المَوْتى ، قل : السلام عليك » [1] .

ومن الأمور التى تعين على التحلى بكل ما سبق مايلى :

• ارتياد مجالس أهل العلم والصلاح :

ويعتمد ذلك على محبتهم ، والتودُّدُ إليهم ، ومجالستهم ، وصحبتهم بالمودة ، والبعد التام عن إيذائهم . أو إلحاق الأذى بهم ، يقول لقمان لابنه :

« يابنى اختَرْ المجالس على عينك ، وإذا رأيت قومًا يذكرون الله فاجلس معهم ، فإنك إنْ تكن عالماً يَنْفَعْكَ عِلْمُك ، وإن تكنْ جاهلاً يُعَلِّمُوكَ ، ولعل الله أن يطَّلِعَ عليهم برحمة فيصيبك بها معهم ، وإذا رأيت قومًا لا يذكرون الله فلا تجلسْ معهم ، فإنك إن تكن عالماً لا ينفعْك علمُك ، وإن تكن جاهلاً زادُوك غيًّا أوْ عيًّا ، ولعل الله أن يطلع عليهم بعذاب فيصيبك معهم » [2] .

يقول الله – تعالى : ﴿ واصبْر نفَسَك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فُرُطًا ﴾ [3] .

• ارتياد المساجد وطول المكث فيها :

يقول رسول الله – ﷺ : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان ، ثم قرأ قوله – تعالى : ﴿ إنما يعمرُ مساجد الله من آمن بالله واليوم

---

(١) رواه أبو داود والترمذى .

(٢) انظر أخلاق الدعاة إلى الله ص ٢٠٤ .

(٣) سورة الكهف : ٢٨ .

الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ [1] .

عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله – ﷺ : « المسجد بيت كل تَقِيٍّ ، وتَكفَّل الله لمن كان المسجد بيته بالرَّوْح والرحمة والجَوَازِ على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة » [2] .

ذلك لأن الإنسان الذى يعتاد المسجد ويرتاده تحفُّه الملائكة ويتفضل الله عليه فيغدق عليه الخير والكرم ويضاعف له الأجر والثواب منذ خروجه من بيته حتى ينصرف من مُصَلاَّه ، فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ : « صلاة الرجل فى جماعة تُضَعَّفُ على صلاته فى بيته وفى سُوقه خَمْسًا وعشرين ضِعفاً ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسنَ الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يُخْرِجُه إلا الصلاة ، لم يخطُ خطوة إلا رُفعت له بها درجة ، وحُطَّت عنه بها خطيئة ، فإذا صلى لم تزل الملائكةُ تُصَلِّى عليه مادام فى مصلاه مالم يُحْدِث (أى لم يحدث لَغْوًا) ، تقول : اللهم ارحمه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال فى صلاة ما انْتَظَرَ الصَّلاَةَ » [3] .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ : « وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يَتْلُونَ كتابَ الله ، ويتَدَارَسُونَهُ بينهم إلا نَزَلَتْ عليهم السكينة وغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ ، وحَفَّتْهُم الملائكة وذكَرَهُمُ الله فِيمَنْ عِنْدَه » [4] .

---

(١) سورة التوبة : ١٨ .

(٢) رواه الطبرانى والبزار .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه مسلم .

وقد كان المسجد فى صدر الدعوة الإسلامية المعبدَ والمعهدَ والمعْقِلَ ، فيه تَطْهرُ الروح والبدن ، ويمتزج العلم بالعمل ، وتَتَّضِحُ الغَايَةُ والوَسِيلة ، ويُعْرَفُ الحقُّ وَالوَاجِب ، ويُعْتَنَى بالتربية قبل التَّعْلِيم ، وبالتَّطْبِيقِ قبلَ النظريَّات ، ومن رحابه تُجَيَّشُ الجيوشُ ، وتُوَجَّه السَّرايا ، رافِعَةً راياتِ التَّوْحِيد خَفَّاقَةً فى العالمين .

المراهقة والشباب

أولاً: معنى المراهقة:

إنه لمن المفيد فى هذا الصدد أن نتعرف على المعنى اللغوى والمعنى العلمى لهذه المرحلة حتى يتسنى لنا فهم سلوك المراهقين والتعامل معهم علىٰ نحو تربوى شرعى؛ لأنها بداية الاستقلال بالتكاليف الشرعية، فلا عجب أن يصحبها أنواع من محاولات الاستقلال الشخصية.

أ ـ المعنى اللغوى للمراهقة:

بمراجعة المعاجم اللغوية يتضح لنا أن هذه الكلمة مشتقة إما من: رَهَقَ يَرْهَقَ فيقال: رَهَقَ يرهق.

أو من: رَهِقَ يَرْهَقُ، من باب فَرِحَ يَفْرَح.

ورَهِقَ رهقا، أى سَفِه وطغى.

أو من: أَرْهَقَ وراهق.

فكلمة المراهق اسم فاعل للفتى والفتاة عندما يبلغ كل منهما فترة عمرية معينة، يكتمل فيها نمو أجهزتهما التناسلية، ويصلان حالة من النضج الجسمى يعرف بعلاماته الخاصة والمميزة.

وكأن هذه التغيرات الوظيفية التى تحدث فى جسم الفتى والفتاة من التغيرات ما يغشاه ويحيط به ويكلفه أمورا حياتية ومتطلبات اجتماعية لم يكن لهما سابق عهد بها، وتظهر أثارها فى شكل تصرفات سلوكية الهدف منها بصفة عامة التخلص من تبعية فترة الطفولة، أملا فى الاستقلال الذى هو أهم مميزات فترة الشباب والرجولة.

ب ـ المعنى العلمى لهذه المرحلة:

اتفق العلماء على أنه يمكن تقسيم حياة الفرد إلى المراحل التالية:

من يوم الولادة إلى سن سنتين. . مرحلة المهد.

من سن سنتين إلى سن ست سنوات. . مرحلة الطفولة المبكرة.

من سن ٦ سنوات إلى سن ١٢ سنة. . مرحلة الطفولة المتأخرة.

من سن ١٢ سنة إلى سن ١٥ سنة. . بداية المراهقة.

من سن ١٥ سنة إلى سن ١٨ سنة. . مرحلة وسط المراهقة.

من سن ١٨ سنة إلى سن ٢٢ سنة. . مرحلة المراهقة المتأخرة

من سن ٢٢ سنة إلى سن ٣٠ سنة. . مرحلة النضج والشباب.

من سن ٣٠ سنة إلى ٦٠ سنة مرحلة وسط العمر أو الرجولة.

من سن ٦٠ فما فوقها . . مرحلة الشيخوخة[١].

أى أن هذه المرحلة من وجهة النظر العلمية إحدى المراحل العمرية، التى لاتأتى فجأة، وإنما تأتى متدرجة، وفيها يكتمل تكوين الجهاز التناسلى للفرد، وتظهر عليه علامات الجنس الثانوية، كنمو الشارب واللحية، وخشونة الصوت لدى الفتى، وظهور الثديين ورقة الصوت لدى الفتاة؛ حيث تنشط الغدد الجسمية، وتفرز أنواعا من الإفرازات على درجة كبيرة من الأهمية فى إحداث هذه التغيرات، وتعرف هذه الإفرازات بالهرمونات الجنسية.

وكل هذه المظاهر، وتلك الظواهر تعمل على دفع الفرد إلى الاستقلال الذاتى فى التصرفات والسلوك، ويتمثل ذلك ـ إلى حد ما ـ فى رفض الأوامر التى تصدر من الأبوين أو الإخوة والأخوات الكبار، ظنا منه أن ذلك يشبع فى نفسه نزعة النِّدية، بالرغم مما فيها من تعريضه للمسائلة وإثارة حفيظة الكبار عليه، فهى بلا شك فترة حرجة، فهى بمثابة معادلة صعبة، وامتحان خطير.

---

(١) التربية الإسلامية للطفل والمراهق، صـ: ٩.

وبالرغم من كل هذا فإن مرحلة المراهقة مرحلة عادية وطبيعية وإنما تأتى الخطورة من عدم تفهمها، أو محاولة البعد عنها والتصرف مع الأفراد خلالها من منطق التسلط والتحكم، وقد يكون من المفيد فى هذا الصدد أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى قد نبهنا إلى هذه الاستقلالية من واقع المسئولية الشخصية لهذا المراهق، حيث تبدأ مرحلة التكليف، والمسئولية الفردية عن التصرفات، فقد اكتملت لديه وسائل الإدراك والعمل جميعا، فعلينا أن نساعده على اجتياز تلك المرحلة، وتخطى هذه العقبة، إعانة له على شق طريقه فى رحلة الحياة، مع بذل النصح له كلما كان فى حاجة لذلك.

جـ - الرَّهَق والإرهاق فى القرآن الكريم والسنة النبوية:

باستعراض آى القرآن الكريم، فإننا نجد كثيراً من الآيات القرآنية التى يؤتنس بها فى هذا المقام، وهى على سبيل الحصر كما يلى:

يقول الله تعالى: ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولايرهق وجوههم قتر ولاذلة وأولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون * والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مُظْلِمًا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[1].

فالمؤمنون الصادقون لهم عند الله المقام الحسن يوم القيامة، ولايعلوا وجوههم القتر ولا الذل، وهذا يعكس حال الظالمين الذين يعلو وجوههم القتر والذلة والغضب والصغار..

ويقول عز من قائل: ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ﴾[2].

ويقول الله تعالى ـ على لسان موسى عليه السلام ـ: ﴿ قال لاتؤاخذنى بما نسيت ولاترهقنى من أمرى عسراً ﴾[3] أى فخشينا أن يحملهما الآلام بسبب طغيانه وكفره، أو يحملهما على مالا يطيقانه من الطغيان والكفر.

---

(١) سورة يونس: الآيتان: ٢٦ و ٢٧.
(٢) سورة الكهف الآية: ٨٠.
(٣) سورة الكهف الآية: ٧٣.

ويقول الله تعالى: ﴿ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة.. ﴾[1].

أى تعلو وجوههم الذلة والصغار.

ويقول: ﴿ يوم يخرجون من الاجداث سراعًا كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون ﴾[2].

ويقول الفتاح العليم: ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴾[3]، أى زادوهم سفها وطغيانا وشططا.

ويقول الله تعالى: ﴿... فمن يؤمن بربه فلايخاف بخسًا ولارهقًا ﴾[4].

ويقول: ﴿ سأرهقه صعودًا ﴾[5]، أى سأكلفه ارتقاء عقبة صعبه، وهو كناية عن شدة ما سيلاقى من العذاب.

ويقول عز من قائل: ﴿ وجوه يومئذ عليها غيرة، ترهقها قترة ﴾[6].

وفى الحديث الشريف يقول رسول الله - ﷺ -: «إذا صلى أحدكم إلى شئ فَلْيُرْهقه» أى إذا اتخذ أحدكم ساترًا أمامه فى صلاته حتى لايمر أحد بين يديه وهو يصلى فعليه أن يُقترب من هذا الساتر ولايبتعد عته.

والإرهاق التعب والمشقة، وأرهقه أى حمله وأغشاه، وأرهقه عسرا، أى كلفه إياه، والإرهاق أيضا يراد به إرادة السوء وظن السوء، وفى الحديث الشريف: «أنه ﷺ صلى على امرأة ترهق» أى تُتَّهَمُ وتؤْين بِشَرّ.

من هذا العرض السريع لمعانى كلمة المراهقة، يتضح لنا أن هذه المعانى جميعًا تلتقى مع بعضها، وتذكرنا بما تمتاز به من ثورة واضطراب ونشاط.

---

(١) سورة القلم: من الآية ٤٣.
(٢) سورة المعارج: الآيتان: ٤٣ و ٤٤.
(٣) سورة الجن: الآية ٦.
(٤) سورة الجن: الآية ١٣.
(٥) سورة المدثر: الآية ١٧.
(٦) سورة عبس: الآيتان ٤٠ و ٤١.

ثانياً: المراهقة معادلة صعبة:

إذا كنا قد أشرنا من قبل إلى اعتبار فترة المراهقة فترة صعبة ومعادلة صعبة، فإننا نود هنا أن نتناول ذلك بشيء من التفصيل؛ لأن ذلك فى حقيقة الأمر وواقعه يعتبر التشخيص الدقيق لهذه المرحلة، بل والمدخل الحقيقى لرسم خطة العلاج والترشيد، فخطورة هذه المرحلة ترجع إلى عاملين أساسيين وهما:

١ ـ المراهق نفسه:

فالمراهق فى هذه السن، يبدأ فى الاهتمام بنفسه، والاعتزاز برأيه، يظهر ذلك فى اختيار ملابسه، واختيار أصدقائه، ويرغب فى التحرك هنا وهناك بغير قيود، أو توجيه أسئلة يراها افتياتا على حقوقه، ومما يزيد فى خطورة هذا الوضع عدم تنبه الآباء لذلك، وقد يكونون معذورين، فهم مشغولون بتوفير لقمة العيش، والسعى وراء الرزق، وبخاصة فى ظل المدنية الحديثة التى أصبحت فرص التفرغ واللقاءات الأسرية المطولة أمرًا صعب المنال فى ظلها.

٢ ـ الآباء والمخالطون:

ويتمثل ذلك فى غفلة الآباء والمخالطين عن احتياجات المراهقين من الأبناء والإخوة فى هذه الفترة، فيظلان مقيمان على حرصهما الزائد، وحدبهما الدائم، فيعامل الأب ابنه وكأنه طفل، وتظل الأم تعامل ابنتها وكأنها طفلة، الأمر الذى يقابَل فى غالب الأحيان بالرفض والإنكار.

أى أن أطراف هذه القضية يتصرفون بصورة شبه متنافرة، أو هكذا يبدوا، فطرف يريد الاستقلال، وطرف يأبى التدخل الكامل فى كل شيء، ولكل وجهة نظره، فالمراهق يدافع الثورة الداخلية، والوالدان بدافع من العطف والشفقة الأبوية، فالخلاف لفظى، والأمر يحتاج إلى تقريب وجهات النظر، وأن تلتقى هذه الأطراف على كلمة سواء، حتى تتحرك القافلة فى سلام وأمان؛ لأن هذه المشكلة تؤرق الجميع، وقد تمر الأسرة بمرحلة من

الاضطراب، وقد تكون اسرة هادئة مستقرة، وفجأة يعلو فيها الضجيج، وترتفع الأصوات لأتفه الأسباب، وتحدث مضايقات لهذا الطرف أو ذاك، وإذا مابحثنا عن السبب بتعقل فإننا نجده كامنا فى تلك التناقضات، وقد تزداد حدتها إذا كا فى الأسرة الواحدة أكثر من مراهق فى فترة زمنية واحدة أو متقاربة، كما تزداد حدة هذه المشكلة إذا اختلفت أجناس المراهقين، فكانوا من الذكور والإناث.

ثالثا: الأسلوب الأمثل للتعامل مع المراهقين:

إن العبء الأكبر فى تحمل هذه المشكلة يقع على عاتق الآباء والمربين والمخالطين، فاجتياز هذه المرحلة يحتاج حكمة وصبرا وأناه، كما يحتاج قدرا من الفهم الواعى لمتطلبات هذه المرحلة، والحرص على إعطاء المراهقيين فرصة من الاستقلال المرشد، بمعنى أن نتيح للمراهقين فرصة وقدراً من الاستقلال فى التصرفات مع وضعهم تحت الرقابة والملاحظة، بمعنى أن نتركهم يتصرفون فى كل مايواجههم، وإذا حدث تصرف غير مقبول فلابد من التدخل لتصحيح المسار، مع تبصيرهم بمغبة الاستقلال المطلق، وإفهامهم أن خبرة الكبار فى خدمتهم، وتجاربهم محل استفادتهم.

وإنى ضارب لك مثالا توضيحيا فيما يلى:

إذا أخطأ الطفل الصغير، فقد يكون من المفيد معه أن ننهره ونزجره، أو نضربه فى بعض الأحيان، فيكف عن خطئه، بل ويظل متذكرا هذا الموقف ويخافه ويخشاه، ولايود الوقوع فيه مرة ثانية.

ولكن عندما يصبح هذا الطفل مراهقا ويصدر منه تصرف خاطىء، فإننا لو تصرفنا معه بنفس الأسلوب الذى تصرفنا به معه وهو طفل فإن النتائج قد لاتحمد عقباها، وغالبا لايجدى معه هذا الأسلوب ولايفيد، بل ربما جعله أكثر إصراراً وأكثر تمسكا بموقفه، ويرى أن التصرف معه على هذا النحو جريمة لايغسلها ماء البحر، بل ولاينفع للفصل فيها إلا مجلس الأمن.

ولذلك وجب أن تؤخذ هذه المسألة بغاية الحذر؛ حتى تستطيع الأسرة احتواء هذه الأغصان اليافعة، وحتى يكتمل تقويم سلوكهم فى أحضانها، وإلا فستتلقفهم أيدى رفاق السوء، ويصبحون وبالا على أنفسهم وعلى مجتمعهم، وقد يتنبهون إلى مغبة ذلك، ولكن بعد فوات الأوان، ويندمون على مابدر منهم، ولات ساعة مندم.

رابعا: توجيهات إسلامية نحو احتواء المراهقين:

مما لاشك فيه أن الإسلام كمنهج ربانى متكامل قبد أولى هذه المرحلة كبير عنايته؛ نظرا لما لها من أهمية وخطورة فى حياة الأفراد، ونشير إلى ذلك فيما يلى:

أ ـ اتباع المنهج الإسلامى الذى أشرنا إلى كثير من بنوده فيما سبق.

ب ـ التركيز على القدوة الحسنة.

وتتركز القدوة الحسنة فى مجالات التربية فى كل من يخالط النشىء، وكل من يتعاملون معهم، فهى تتمثل فى الوالدين، وفى الأخوة والأخوات الأكبر سنا، وفى بقية أفراد الأسرة، وفى المعلمين والمربين، وجماع الأمر فى هذه القضية أنه يجب على كل من يخالط المراهق ويتعامل معه ألا تخالف أفعاله أقواله؛ لأن ذلك يغرس فى نفسه الجدية والتمسك والإلتزام، ويجنبه سلوك اللامبالاة وعدم الاهتمام، من منطلق الدور الزائد لهؤلاء المخالطين جميعا، والنصوص فى هذا المجال كثيرة ووفيرة، ونحن نجتزىء منها مايلى:

يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾[1].

ويقول عز من قائل: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٤.

(٢) سورة الصف: الآية ٣.

ويقول رسول الله ـ ﷺ ـ : «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».

ويقول الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا	كى مايصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها	فإذا أنتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ماتقول ويشتفى	بالقول منك وينفع التعليم

وهذه طائفة من النصائح الموجهة للمعلمين والمربين:

* روى ابن خلدون فى مقدمته: أن هارون الرشيد لما دفع ولده «الأمين» إلى المؤدب قال له: «يا أحمر: إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فَصَيِّرَ يدك عليه مبسوطة، وطاعتك له واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن وعَرِّفْه الأخبار، وَرَوِّه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبَدْئه، وامتعه من الضحك إلا فى أوقاته، ولا تمرَّ به ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها، من غير أن تحزنه، فتميت ذهنه، ولاتمعن فى مسامحته، فيستحلى الفراغ ويألفه، وقومه مااستطعت بالقرب والملاينة، فإنْ أبَاهما فعليها بالشدة والغلظة».

* وقال عبد الملك بن مروان ينصح مؤدب ولده: «علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، واحملهم على الأخلاق الحليمة، وروهم الشعر يشجعوا وينجبوا، وجالس بهم أشراف الرجال وأهل العلم منهم، وجنبهم السفلة والخدم فإنهم أسوأ الناس أدبا، ووقرهم فى العلانية، وأنبهم فى السر، واضربهم على الكذب؛ إن الكذب يدعو إلى الفجور، وإن الفجور يدعو إلى النار».

هذا ويحسن أن يكون مع الصبى فى الدرس صبية ذوى اخلاق حسنة حتى يتمثل بهم، يقول ابن سينا: «ويكون مع الصبى فى مكتبه صبية حسنة آدابهم؛ لأن الصبى عن الصبى ألقن، وهو عنه آخذ، وبه آنس».

جـ - تعليم المراهقين الأحكام الفقهية التى تتعلق بهم فى هذه الفترة، من نحو وجوب الغسل من الحيض والجنابة، ووجوب الاستئذان، وآداب الاختلاط.

ثانيا : حقوق الآباء على الأبناء :

وكما أوصى الإسلام الآباء بالأبناء خيرًا على نحو ما سبق بيانه ، فإنه قد أوصى الأبناء بالآباء خيرًا ، حتى مع اختلاف الدين ؛ وذلك لتكون العلاقات الإنسانية أكثر ترابطاً وتراحماً ، لا تنتابها الشهوات ، ولا تعصف بها الأهواء ولا الأنواء ، ونلمح إلى جانب من هذه الحقوق فيما يلى :

(أ) حقوق الوالدين حَالّ حياتهما :

١ - الإحسان إليهما :

لقد أوصى الله - تعالى - الأبناء بالإحسان إلى الآباء فى غير موضع من الكتاب العزيز ، وَقَرَنَ ذلك بتوحيد الله والنهى عن الشرك ، كما قَرَنَ شكرَه بشكرهما ؛ لمالهما من مكانة رفيعة ، وإليك طائفة من الآيات التى يأمر الله فيها بالإحسان إلى الوالدين :

- يقول الله - تعالى : ﴿ وقضى ربك ألَّا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾ [1] .

---

(١) سورة الإسراء ، جزء من الآية : ٢٣ .

• وقال عز من قائل : ﴿ واعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانا ﴾ (١) .

• ويقول جل ذكره : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإنسانَ بوالديه ، حملته أُمُّه وَهْنًا على وَهْن ، وفِصَالُه فى عامين أَنِ اشكُرْ لى ولوالديك إلَىَّ المصير ﴾ (٢) .

• ويقول تقدست أسماؤه : ﴿ وإذْ أَخَذْنَا ميثاقَ بَنِى إسرَائيل لا تَعْبُدُونَ إلا الله وبالوالدين إحسانا ﴾ (٣) .

• وقال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا ، حملته أمه كُرْهًا ووضَعَتْهُ كُرْهًا ، وحَمْلُه وفِصاله ثلاثون شهرًا ، حتَّى إذا بلغ أشُدَّهُ وبَلَغَ أربعين سنةً قال رب أوزعنى أن أشكرَ نعمَتَك التى أنعَمْتَ علَىَّ وعلى وَالدىَّ وأن أَعْمَل صالحاً ترضَاه وأَصْلِحْ لى فى ذُرِّيَتى ، إنِّى تُبْتُ إليكَ وَإنى منَ المسلمين ﴾ (٤) .

٢ - بر الوالدين :

والبر اسم جامع لخِصَال الخير ، وقد كان أنبياءُ الله ورسله القُدْوَةَ فى بر الآباء ، وتبعهم على ذلك الدَّرْبُ أهلُ الصلاح والفلاح ، يقول الله - تعالى - عن يحيى عليه السلام : ﴿ وَبَرًّا بوالديه ولم يَكُنْ جَبَّارًا عصيًّا ﴾ (٥) ويقول عن عيسى عليه السلام : ﴿ وبرًّا بوالدَتِى ولم يجعلْنِى جَبَّارًا شقِّيا ﴾ (٦) .

---

(١) سورة النساء ، جزء من الآية : ٣٦ .

(٢) سورة لقمان : ١٤ .

(٣) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٨٣ .

(٤) سورة الأحقاف : ١٥ .

(٥) سورة مريم : ١٤ .

(٦) سورة مريم : ٣٢ .

وبرُّ الوالدين مُقَدَّمٌ على الجهاد ، فعن أبى سعيد الخدرى قال : هاجر رجل من أهل اليمن إلى رسول الله – ﷺ – فقال له النبى : « هل لك أحد باليمن ؟ » قال : أبواى . قال : « أَذِنَا لكَ ؟ » ، قال : لا .

قال : « فارجع إليهما فاستأذنهما ، فإن أَذِنَا لك فجاهد وإلا فَبِرَّهُما » [1] . وعن طلحة بن معاوية السُّلَمِيِّ قال : أَتَيْتُ النَّبِىَّ – ﷺ – فقلت : يارسول الله ، إنى أريد الجهادَ فى سبيل الله ، قال : « أُمُّكَ حَيَّةٌ ؟ » قلت : نعم . قال : « الزَمْ رِجْلَهَا فَثَمَّ الجنة » [2] .

وبر الوالدين واجب ولو كانا كافرين : يقول الله – تعالى : ﴿ وإنْ جاهداك على أن تُشرك بى ماليس لك به علم فلا تُطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفاً ﴾ [3] .

والشريعة الإسلامية تقرر للوالدين الكافرين جميع حقوق البر والصلة والإحسان، فيما عَدَا الكفر والمعاصى؛ إذْ لاَ طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . عن عبد الله بن الزبير قال : قَدِمَتْ « قُتَيْلَةُ » على ابْنِتِهَا « أسماء بنت أبى بكر » ، وكان أبو بكر طَلَّقَهَا فى الجاهلية ، فقدمت على بنتها بهدايا ، فَأَبَتْ « أسماءُ » أن تقبلَ منها ، أو تُدْخِلَهَا مَنْزِلَهَا حتى أرسَلَتْ إلى عائشةَ أن تسأل عن هذا رسول الله ، فأخبرته ، فأمرها أن تقبل هَدَايَاهَا ، وتُدْخِلَهَا مَنْزِلَها ، فأنزل الله قوله : ﴿ لاينهاكم الله عن الذين لم يُقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تَبَرُّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ [4] . أخرجه أحمد والبزار والحاكم فى صحيحه .

---

(١) رواه أبو داود .
(٢) رواه الطبرانى .
(٣) سورة لقمان ، جزء من الآية : ١٥ .
(٤) سورة الممتحنة : ٨ .

والأم مقدمة فى البر على الأب :

عن أبى هريرة قال : « جاء رجل إلى رسول الله – ﷺ – فقال : يارسول الله مَنْ أحق الناس بِحُسْنِ صحابتى ؟ قال : أُمُّك . قال : ثم من ؟ قال : أُمُّك . قال : ثم من ؟ قال : أُمُّك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك » (١) .

ولبر الوالدين أنواع كثيرة نوردها فيما يلى :

لين القول لهما :

ويدخل ضمن ذلك : عدم رفع الصوت فى خطابهما ، وعدم تسمية أى منهما باسمه ، يقول الله – تعالى : ﴿ واخْفِضْ لهما جناح الذُّل من الرحمة ﴾ (٢) .

توقيرهما :

فينبغى عدم النظر إليهما شزراً ، وعدم المشى أمامهما ، وعدم الجلوس قبلهما ، عن أبى هريرة أنه أَبْصَرَ رجلين فقال لأحدهما : ماهذا مِنْكَ ؟ قال : أبى . فقال أبو هريرة : « لا تسمِّه باسمه ، ولا تَمْشِ أمامه ، ولا تجلس قبله » (٣) .

الإنفاق عليهما عند الحاجة :

عن جابر بن عبد الله قال : جاء رجل إلى النبى – ﷺ – فقال : يارسول الله ، إن أبى أخذ مالى ، فقال النبى : فَأْتِنِى بأبيك ، فنزل جبريل على النبى فقال : إن الله – عز وجل – يُقْرِئُكَ السلام ويقول لك : إذا جاءك الشيخ فاسأله

---

(١) متفق عليه .

(٢) سورة الإسراء ، جزء من الآية : ٢٤ .

(٣) أخرجه البخارى فى الأدب والبيهقى وابن السنى .

عن شيء قاله فى نفسه ما سَمِعَتْهُ أُذُنَاه ، فلما جاء الشيخ قال له النبى – ﷺ : مابال ابنك يشكوكَ ؟ أتريد أن تأخذ ماله ؟

فقال : سَلْهُ يارسول الله ، هل أنفقتُه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسى ؟

فقال رسول الله – ﷺ : إيه ، دعنا من هذا ، أخبرنى عن شيء قلْته فى نفسك ما سَمِعَتْهُ أُذُنَاكَ .

فقال الشيخ : والله يارسول الله مازال الله عز وجل يزيدنا بكَ يقيناً ، لقد قلت فى نفسى شيئًا ما سمعَته أُذُنَاى .

قال : قل وأنا أسمع .

قال : قلت :

غَذَوْتك مولودًا ومُنْتُكَ يافعًا ... تُعَلُّ بما أَجْنِى عليك وتَنْهَلُ
إذا ليلة ضاقتك بالسُّقْمِ لم أَبِتْ ... لِسُقْمِكَ إلَّا سَاهِرًا أتململُ
كأنى أنا المطْرُوقُ دُونَكَ بِالذى ... طُرِقْتَ به دونى فَعَيْنَىَّ تَهْمَلُ
تخافُ الرَّدَى نَفْسِى عليك وإنَّها ... لَتَعْلَمُ أن الموتَ أمْرٌ مُؤَجَّلُ
فلما بلغْتَ السِّنَّ والغَايَةَ التى ... إليْها مَدَى ماكُنْتُ فِيك أُؤَمِّلُ
جَعَلتَ جَزَائِى غِلْظَةً وفَظَاظَةً ... كَأنكَ أنتَ المُنْعِمُ المتَفَضِّلُ
فَلَيْتَكَ إذْ لم تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتى ... فَعَلْتَ كما الجَارُ المجَاوِرُ يَفْعَلُ
فَأَوْلَيْتَنى حَقَّ الجِوَارِ وَلَمْ تكُنْ ... عَلَىَّ بمالٍ دُونِ مالك تَبْخَلُ

قال : فحينئذ أخذ النبى بتلابيب ابنه وقال : « أنت ومَالُكَ لِأَبِيكَ »[1] .

---

(١) انظر القرطبى ١٠/٢٤٦ .

الدعاء لهما :

يدعو لهما بكل خير ، وأفضل الدعاء طلب الرحمة لهما من الله بأن يقول فى دعائه لهما ما حكاه القرآن الكريم : ﴿ وقل رَبِّ ارحمهما كما رَبَّيانى صغيرًا ﴾ (١) .

ومن الأمور التى تُعِينُ الوَلَدَ على بِرِّ أبويه ما أشَارَ إليه أميرُ المؤمنين عمر ابن الخطاب حينما سأله أحدُ الأبناء : ماحق الولد على أبيه ؟

فقال له : أن يَنْتَقِىَ أُمَّه ، ويُحَسِّنَ اسمَه ، ويُعَلِّمَه القرآن .

وهذه صور من صور البَرَرَة :

• **حارثة بن النعمان :**

عن عائشة قالت : قال رسول الله – ﷺ : « دخلت الجنةَ فَسَمِعْتُ فيها قِرَاءَةً فقلت : من هذا ؟ قالوا : حارِثَة بنُ النُّعْمَانِ كَذَلِكُمُ البَرّ ، كذلكم البر وكان أبَرَّ الناس بأمه » (٢) .

• **القاضى إياس :**

لما ماتت أمه بكى عليها ، فقيل له فى ذلك ، فقال : كان لى بابان مفتوحان إلى الجنة فأُغْلِقَ أحدهما .

• **على بن الحسين :**

كان من أبر الناس بأمه ، ومع هذا فقد كان لا يأكل معها فى صحفة ،

---

(١) سورة الإسراء ، جزء من الآية : ٢٤ .

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه .

فقيل له : إنك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك فى صَحْفَة ؟ فقال : أَخَافُ أَنْ تَسْبِقَ يَدِى يدَهَا إلى مَا تَسْبِقُ إليه عَيْنَاهَا فأكونُ قَدْ عَقَقْتُهَا .

٣ - البعد عن عقوقهما :

فقد نهى الإسلام عن عقوق الوالدين وإلحاق الأذى بهما ، نفسيًّا كان ذلك الأذى أو معنويًّا أو ماديًّا ، قولًا كان أو فعلًا ، وعَدَّهُ من الكبائر ، وعَدَّ مرتكبيه من شِرَارِ الناس ، وتوَعَّدَهُم الله بألَّا ينظرَ إليهم يومَ القيامة ، كما حَرَّمَ عليهم الجنة ، ولا يقبَلُ الله صلاتَهم وعبَادَتهم .

وهذه طائفة من الأخبار التى توضح لنا تلك الصورة وتجليها :

• عن ابن عباس قال : قال رسول الله - ﷺ : « شَرُّ الناس ثلاثة : متكبر على والديه يَحْقِرُهُما ، ورجل سعى بين الناس بالكَذِبِ حتى يَتَبَاغَضُوا ويَتَبَاعَدوُا ، ورجل سعى بين رجل وامرأته بالكذب حتى يُغَيِّره بِغَيْرِ حق حتى فَرَّقَ بينهما ، ثم يَخْلُفُه عليها من بَعْدُ » (١) .

• عن أنس قال : ذكر رسول الله - ﷺ - الكبائرَ فقال : « الشرك بالله وعقوقُ الوالدين » (٢) .

• عن ابن عمر قال : قال رسول الله - ﷺ : « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاقُّ والديه ، والدَّيُّوث ، والرَّجِلَةُ من النساء (أى التى تشبه فى سلوكها سلوك الرجال)» (٣) .

---

(١) رواه أبو نعيم .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه النسائى والبزار .

• عن أبى أمامة قال : قال رسول الله – ﷺ – : « ثلاثة لا يقبل الله – عز وجل – منهم صَرْفًا ولا عَدْلاً : عاقٌّ ، ومنَّانٌ ، ومُكَذِّبٌ بِقَدَرٍ » (١) .

• عن ثوبان قال : « ثلاثة لا ينفع مَعَهُنَّ عَمَل : الشِّرك بالله ، وعُقُوقُ الوالدين ، والفِرَارُ يَوْمَ الزَّحْفِ » (٢) .

• عن أبى بكر – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ : « كل الذنوب يؤخِّرُ الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين ، فإن الله يُعَجِّلُ لصاحبه فى الحياة قبل الممات » (٣) .

(ب) حقوق الوالدين بعد وفاتهما :

لا يقتصر الإحسان إلى الوالدين والبر بهما على حال حياتهما ، وإنما يمتد ليشملهما حتى بعد وفاتهما ، مُمَثَّلاً فى إتمام ما أَبْرَمَاه من صَفَقَات ، أو قَطَعَاه من عهود فى الخير ، وكذلك الدُّعَاءُ لهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلَّا بهما ، ففى كل ذلك اسْتِدَامَةُ لهما ، وزيادة فى استمرار الخير والإحسان إليهما .

ومن أجمع الوصايا فى ذلك ما رواه أبو أُسَيْد مالك بن ربيعةَ السَّاعِدِىّ قال : « بينما نحن جلوس عند رسول الله – ﷺ – إذْ جَاءَهُ رجل من بنى سَلَمَةَ فقال : يارسول الله هل بقَى من بِرِّ أَبَوَىَّ شىءٌ أَبَرُّهُمَا به بعدَ موتهما ؟ قال :

---

(١) رواه ابن أبى عاصم .

(٢) رواه الطبرانى .

(٣) رواه البخارى والطبرانى والحاكم .

نعم ، الصلاةُ عليهما ، والاستغفارُ لهما ، وإنْفَاذُ عَهْدِهِما من بَعْدِهِما ، وصِلَةُ الرَّحِم التى لا توُصَلُ إلا بِهَما ، وإكرامُ صَدِيقِهِما » [1] ، وزاد ابن حبان : « فقال الرجل : ما أَكْثَرَ هذا يا رسول الله وأَطْيَبَه ! قال : فَاعْمَلْ بِه » .

* * *

(١) رواه أبو داود .